مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

د. نبيل فاروق

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

50

Looloo
www.dvd4arab.com

الهدف أنت

(وقصص أخرى)

- مع القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل 2000 ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- *إلى الحضارة ..*
- *إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم ..*

مصـــر

أنا مصرى ، أعشق تراب مصر ، التى ولدت على أرضها ...

نشأت فى ظل علمها ...

شربت من نيلها ...

أكلت من خيرها ...

بكيت لآلامها ...

فرحت لانتصاراتها ...

قاتلت من أجلها ...

ودمى وروحى فداء لها ...

أنا مصرى ، يعشق أمه ..

مصر .

د. نبيل فاروق

Looloo
www.dvd4arab.com

الستار الأسود

(سلسلة داخل سلسلة)

3

1 ـ الجنـــــة ..

خفق قلبه فى قوة ، وارتجف بين ضلوعه فى لهفة ، وجف حلقـه فى ترقب ، وهـو يجلس فى قاعة الانتظار بالغة الأناقة والفخامة ، فى تلك القاعدة الفضائية ، فى انتظار دوره ؛ ليستقل ذلك الصاروخ ، الذى لا يتشرف باستقلاله إلا الجنود المخلصون ، الذين يتم اختيارهم وفقًا لإخلاصهم وتفانيهم ؛ لينعموا بعـد كل ما بذلوه من جهد وعرق ، بالذهاب إلى حيث يحلم الجميع ...

إلى كوكب (جنة المجرة) ...

منذ حداثته ، وهـو يحلم بأن يصبح من المحظوظين ، الذين ينالون هذا الشرف العظيم ...

وخلال مراحل شبابه الأولى ، راح يقرأ فى نهم ، كل ما كتبوه عن (جنة المجرة) ...

ذلك الكوكب البعيد ، الذى تم كشـفه فى منتصف القرن الثانى والعشرين ...

كوكب بكر ، يشبه مناخه الأرض كثيرًا ، مع فارق واحد ...

Looloo
www.dvd4arab.com

نقاء الهواء ، إلى درجة شبه كاملة ...

ما تناقلوه عن الرواد الأوائل ، الذين هبطوا على ذلك الكوكب ، أثار خيال الجميع ...

الهواء النقى ...

نسبة الأكسجين العالية إلى قـدر معقول ، يضفى على الخلايا الكثير من الحيوية والنشاط ، مما يزيد من قوة الجسد ، ويضاعف كفاءته ...

الحدائق الغناء ، التى تملأ سطح الكوكب تقريبًا ...

الينابيع العذبة ، التى لا تحوى ذرة من التلوث ...

الأشجار الموسيقية ..

الفاكهة الطرية المنعشة ...

النباتات الرقيقة ، ذات الرائحة الذكية ...

مكان يحلم كل مخلوق بقضاء فترة تقاعده فيه ..

حتى شمسه ، دافئة طوال العام ...

ربيع دائم بلا منغصات ..

ويا له من كوكب أشبه بحلم جميل ..

ربما لهذا أطلقوا عليه اسم (جنة المجرة) ...

ولأنه (جنة المجرة) ، أراد الكل ألا يفسدوه ، بتحويله إلى نسخة مكررة من الأرض ...

أرادوه بحق جنة ...

فالأرض فى ذلك الحين ، كانت قـد بلغت أسـوأ مرحلة فى عمرها ...

البشر تزايدت أعدادهم إلى حد مخيف ...

وضاقت بهم الأرض ...

وقلّت مواردها ، نسبة إلى التعداد الجديد ...

وتزايدت الصراعات ...

واشتعلت الحروب ..

وتآزرت الطبيعة مع كل هـذا ، فكثرت الفيضانات ، وتفجرت البراكين ، وارتفعـت سحب كثيفـة ، جعلت جـو الأرض كئيبًا مخيفًا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وربما لهذا كان لكشف كوكب (جنة المجرة) صداه الكبير ، فى العالم أجمع ...

لقد صار هو الأمل ...

والطموح ...

والحلم ...

ولكن البشر لهم دومًا نزعاتهم الهدامة ...

فمع كل هذا ، خرجت مجموعة من البشر ، تكذّب خبر (جنة المجرة) ، وتصر على أنه مجرد وهم ، تستخدمه السلطة ؛ للسيطرة على عقول العامة ، ومنحهم أملاً زائفًا ، يساعدهم على احتمال ما يلاقونه منها ، من تعَنُّت وجبروت وظلم وقهر وديكتاتورية ...

وعلى الرغم من أن هذا لم يقنعه قط ، باعتباره جنديًا من جنود السلطة ، الذين نشأوا فى حضنها ، وتربوا على مبادئها ، إلا أن اعداد المتشككين راحت تتزايد وتتزايد ، حتى باتت تمثّل تهديدًا حقيقيًا للسلطة ...

وكان من الطبيعى والحال هكذا ، أن تسعى السلطة للحفاظ على وجودها ...

وفى اجتماع كبير ، حضره قائد السلطة ، وبصحبته حكيم السطة ، الذى يطيعه الجميع ، حتى القائد نفسه ، وصف الحكيم المتشككين بأنهم يتبعون الشرير (شيكان) ، وأنه لابد من قمعهم وإخراسهم ، قبل أن يمتد التردد إلى الكوكب كله ..

ومازال هو يذكر كلماته الخالدة فى ذلك اليوم :

ـ كلهم أتباع (شيكان) ، ولا يستحقون حتى الحياة ، فلا ترحموهم ، ولا تشعروا نحوهم بذرة من الرحمة أو الشفقة ، فوحدكم يا جنود السلطة تستحقون الحياة ، وموتهم هو حياة لكم ، فاقتلوهم حيث تجدونهم ، وكلما كنتم معهم أكثر قسوة وعُنْفًا ووحشية وشراسة ، نلتم المزيد من الشرف والعلوّ .

ولكن جسده يومها ارتجف بحق ، وانتفضت كل خلية فيه ، عندما قال حكيم السلطة ، فى نهاية حديثه :

ـ والأكثر إخلاصًا منكم للسلطة ، والأكثر قسوة مع أتباع (شيكان) ، سيفوز بقضاء ما تبقى من عمره هناك ، فى كوكب الحلم ... فى (جنة المجرة) .

يومها صرخ مع الباقين ، بكل قطرة حماس فى جسده ، بأنه سيقاتل بكل ما فى وسعه ؛ للقضاء على أتباع (شيكان) ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ومنذ ذلك اليوم ، بدأت الحرب ..

وأولئك المتشككون حاولوا اللعب بالكلمات ، التى يجيدونها جيدًا ، والتى بها يخدعون العقول المريضة ...

حاولوا أن يخدعوه ورفاقه ، بأن يؤكدوا لهم أنهم ليسوا أتباع (شيكان) ، وأنهم يسعون لتحريره ورفاقه ، لا للسيطرة على الأرض ...

حاولوا أن يقنعوا الجميع بأنهم مضلَّلون ، وبأن حكيم السلطة يخدعهم ؛ ليكونوا جنوده ، الذين يضمنون للسلطة البقاء ، على الرغم من كل ما ترتكبه فى حق البشر ...

ولكن كل هذا لم يؤثر فيه أو فى رفاقه ...

كلهم قاتلوا المتشككين بكل قوتهم ...

وبكل قسوتهم ...

قاتلوهم ..

وعذبوا من سقط منهم فى أيديهم ...

أذاقوهم العذاب ألوانًا ...

ثم قتلوهم ...

وبأكبر قدر من القسوة والوحشية ...

حكيم السلطة أخبرهم ، بأنه كلما بذلوا من القسوة والوحشية ، أرهبوا المزيد من المتشككين ، ودفعوهم إلى التراجع ...

ولهذا راحوا يزيدون من قسوتهم ووحشيتهم ...

ويزيدون ...

ويزيدون ...

ولكن يا لأتباع (شيكان) هؤلاء ...

مع كل القسوة والوحشية ، لم يتوقفوا أو يتراجعوا ...

بل على العكس تمامًا ، لقد ازدادت حماستهم ، وراحوا يقاتلون ...

ويقاتلون ...

ويقاتلون ...

وفى حسد وغيرة ، شاهد رفاقًا له ، أسرفوا فى استخدام القسوة والوحشية مع المتشككين ، وهم يفوزون برضاء حكيم السلطة وقائدها ، وينعمون بشرف الذهاب إلى هناك ...

Looloo
www.dvd4arab.com

إلى كوكب (جنة المجرة) ...

كان يحلم باللحاق بهم يومًا إلى هنـــاك ؛ لينعم مثلهم بحياة بلا أمراض أو متاعب أو منغصات ...

ولهذا زاد من قسوته ووحشيته أكثر ...

وأكثر ...

وأكثر ...

كان كل ما يبتغيه هو نيل رضا قائد السلطة وحكيمها ...

والفوز بمتعة (جنة المجرّة) أيضًا ...

فى كل ليلة ، بعد أن يسفك أكبر كم من دماء المتشككين ، كان يقوم بتشغيل ذلك الإعلان الهولوجرامى ، الذى يستعرض جمال كوكب (جنة المجرة) ومتعة اللانهائية ...

ويحلم ...

وفى كل ليلة ، بعد أكبر قدر من القسوة والوحشية ، كان ينام مبتسمًا ...

حالمًا ...

متفائلاً ...

« حان دورك .... » ...

انتفض جسده كله فى عنف ، عندما قطعت تلك العبارة أفكارها ، ونهض واقفًا فى سرعـــة ، وهو يشـــد قامته فى وقفة عسكرية صارمة ، وقلبـــه يخفـــق على نحو أعنف وضرباته تتصاعد فى قوة ...

وبكل الحماس والانفعال ، سار مع عدد قليل من رفاقه ، عبر ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى الصاروخ ...

ومع كل خطوة يخطوها ، كان قلبه يخفق بقوة أكبر ...

وأخيرًا صاروا داخل الصاروخ ، حيث استقبلهم رجل وقور ، باسم الثغر ، وهو يقول :

ــ مرحبًا بكم على متن صاروخ السلطة ، الذى سينقلكم إلى حيث تستحقون ... إلى

(جنة المجرة) .

هتف الجميع فى سعادة وفرح ، فاتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الرحلة ليست بالقصيرة ، ولهـذا ستخضعون لحـالة من السبات الصناعى ، وسيتم إيقاظكم عندما تصلون إلى هناك .

راح جسده يرتجف فى انفعال جارف ، وهو يرقد داخل تلك الأسطوانة الشفافة ، وتركهم يوصلون جسده بالأسلاك والأنابيب ، وهو يحلم بالاستيقاظ هناك ، فى (جنة المجرة) ، ولقاء زملائه ، الذين سـبقوه إلى هنـاك ، وينضم إليهم ؛ لينعـم مثلهم بمتعة لا تنتهى ...

بدأ يشعر بالنعاس يتسلل إليه ، وببرودة شديدة ، تسرى فى أطرافه ، وتمتد إلى أطراف جسده رويدًا رويدًا ، فدفع جسده إلى الاسترخاء ، ودفع جسده إلى الحلم ، وراحت أطرافه تتراخى ...

وتتراخى ...

وتتراخى ...

ثم تلاشى كل شىء من ذهنه دفعة واحدة ...

لم يُدرك كَمْ من الوقت ظل غارقًا فى سُباته الصناعى ، ولكنه مرة أخرى بدأ يستعيد شعوره بجسده رويدًا رويدًا ...

بدأت خلاياه تستيقظ ، وبدأت مشاعره تعود ، ليسمع صوتًا غليظًا يقول فى صرامة :

ـ هيا ... استيقظ .

أدهشه الصوت ، واستنكر اللهجـة ، ففتح عينيـه فى بطء ؛ ليدرك أنه مازال راقدًا داخل ذلك الأنبوب الشفاف ، الذى انفتح غطاؤه ، ووقف إلى جواره ذلك الرجـل ، الـذى استقبلهم فى صاروخ السلطة ...

وفى بطء ، غمغم :

ـ أين نحن ؟!

أجابه الرجل فى غلظة ، لا تشبه صوته الهادئ الوقور القديم :

ـ حيث تستحق .

استعاد سيطرته على أطرافه ، فدفع جسده ليجلس ، وتلفت حوله فى لهفة وشغف ، حتى بلغت عيناه نافذة زجاجية كبيرة ، و ...

وانتفض جسده فى قوة ...

ولكن فى ذعر هذه المرة ...

فما رآه ، عبر النافذة الزجاجية الكبيرة ، لم يكن يشبه ، بأى حال من الأحوال ، ما ظل يحلم به طيلة عمره ...

Looloo
www.dvd4arab.com

لم تكن هناك حدائق غناء ، ولا أشجار موسيقية ، ولا نباتات رقيقة ...

بل لم يكن هناك حتى ما يوحى بالهواء النقى ...

كل ما رآه هو رمال حمراء ، وبراكين يتصاعد منها الدخان ، وسحب داكنة كثيفة فى السماء ، ورجال ينقلون أحجارًا كبيرة ، وقد شحبت وجوههم ، ونحلت أجسادهم ، وتهالكت أطرافهم ، ومخلوقات مخيفة مرعبة ، تضرب كل من يتوقف منهم ، ولو لحظة واحدة ، بسياط قوية ثقيلة ...

ولكن ما جعل عينيه تتسعان عن آخرهما ، ورعبه يبلغ ذروته ، هو أنه قد ميز وجوه من سبقوه ، وسط الرجال المعذبين ...

وبكل رعبه ، صرخ :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الرجل بنفس الغلظة والقسوة :

ـ ما تستحق ... إنه المكان الذى يناسب من يبذل نفسه ، بكل القسوة والوحشية ، لإرضاء نزعات داخله .

صرخ :

ـ ولكننى فعلت كل ما طلبوه منى .. أطعت الأوامر حرفيًا .. أردت أن أحمى الأهداف العظيمة للسلطة .

حملت غلظة الرجل شيئًا من السخرية ، وهو يقول :

ـ أهداف عظيمة ؟!... وهل بلغت حماقتك حدًا ، جعلك تتصور أنه من الممكن أن تصل إلى أهداف عظيمة ، عبر أساليب خسيسة حقيرة ؟!

أجاب ، وهو يوشك على الانهيار :

ـ كنت أحارب أتباع (شيكان) .

أطلق الرجل ضحكة غليظة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أتباع (شيكان) ؟!... وهل كنت تتصور أن (شيكان) ساذج مثلك إلى هذا الحد ؟!..

ثم مال نحوه ، وتضاعفت قسوته ، مع إضافته :

ـ (شيكان) من الخبث ، بحيث لا يمارس لعبته قط على نحو مباشر ... إنه يختار أمثالك ، ويوهمهم بأنهم يفعلون كل ما يطلبه منهم ، عبر أساليب خسيسة حقيرة ، من أجل أهداف عظيمة .. وعندما يتبعونه فى إخلاص ، يصبحون ، وحتى دون أن يدركوا هذا ، من أتباعه .

Looloo
www.dvd4arab.com

حدَّق فيه فى ذهول ، وهو يغمغم :

ــ ولكن لماذا ؟!

فوجئ بملامح الرجل تتبدل ، وتتحول إلى ما يعرفها جيدًا ... ملامح (شيكان) ...

وبكل رعب الدنيا ، صرخ ...

صرخ لتمتزج صرخته بصوت (شيكان) الساخر :

ــ وهل كنت ستطيعنى ، لو علمت أنه أنا ؟!

ثم عاد يميل نحوه ، مضيفًا فى وحشية مخيفة :

ــ لقد أطعت ، ونلت ما تستحق ... مرحبًا بك أيها الأحمق ، فى جحيم (شيكان) ... الأبدى ...

وانطلقت من حلقه ضحكة ساخرة عالية ..

وانهار هو تمامًا ، وهو يحدِّق مرة أخرى فى ذلك الكابوس ، الذى يطل عليه ، عبر النافذة الكبيرة ..

كابوس جحيم (شيكان) ...

الأبدىّ .

* * *

2 ــ القلـــم ..

« وأخيرًا ، وجد نفسه فى موقف شديد الخطورة ، وكان عليه أن يتخذ قرارًا حاسمًا ، وخلال ثوانٍ خمس فحسب ، و ... » ..

توقف (العطار) عند هذه الفقرة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحاول إيجاد مخرج مبهر ، يناسب أحداث قصته ، إلا أنه عجز عن هذا ربع ساعة كاملة ، فألقى قلمه على كومة الأوراق ، وهو يمسك شعره ، هاتفًا فى عصبية شديدة :

ــ ماذا أصابنى ؟!...

دفع منضدته الخشبية ، التى اعتاد استخدامها لكتابة رواياته ، منذ أكثر من عشرة أعوام ، ونهض بكل عصبية ، وكل ذرة فى كيانه تنتفض غضبًا ...

إنه لا يدرى حقًا ماذا أصابه !!...

لقد بدأ ينشر رواياته منذ سبعة أعوام فقط ، بعد كفاح طويل مع الناشرين ، الذين رأى بعضهم أن أعماله لا ترقى إلى عالم النشر ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وعندما عثر أخيرًا على ناشر يقبل أعماله ، شعر أنها بداية انطلاقه فى عالم الرواية والأدب ...

كانت روايته الاولى بوليسية ، ذات طابع اجتماعى ، حققت رواجًا معقولاً ، إلا أنها لم تلمع باسمه ، كما كان يتوقع ...

ثم جاءت الرواية الثانية بعدها بعام تقريبًا ، وكان حظها أفضل قليلاً من حظ ما سبقتها ...

وفى كل عام تقريبًا ، كان يصدر رواية جديدة ...

ومع كل رواية ، كان التوزيع يرتفع قليلاً ...

ولكنه لم يرتفع إلى الحد الذى ينشده كل كاتب روائى ...

حتى النقاد تجاهلوا أعماله تمامًا ، وكأنه شبح أو نكرة ...

وكم أحنقه هذا ، وملأ نفسه غلاً وغضبًا ...

الأســوأ أنه ، فى العامين الأخيرين ، بدأت مبيعات رواياته تتراجع ، على نحو مثير للفزع ...

وبدأ الناشر يتعامل معه فى شىء من الحدة ، ويطالبه بالعودة إلى أسلوبه القديم ، الذى يحقق شيئًا من الأرباح للدار ...

« إننى أحاول » ...

صرخ بهذا فى حدة ، منتزعًا نفسه من سيل أفكاره ، وركل المائدة الخشبية مرة أخرى بكل قوته ، فتدحرج قلمه المفضل من فوق الأوراق ، وتراجع هو فى ذعر ، عندما شاهده يسقط من فوق المائدة ، ويسقط أرضًا ، فيتحطم سنه الذهبى على نحو عنيف ، وينسكب حبره على الأرضية ، على نحو بدا له معه أن قلمه ينزف ، قبل أن يلفظ أنفاسه الاخيرة ...

ولثوانٍ ، وقف (العطار) مبهوتًا مذعورًا ، محدقًا فى قلمه فى يأس بائس ...

ولساعة بعدها ، حاول عبثاً أن يصلح ذلك السن المكسور بلا جدوى ...

وأخيرًا اعترف لنفسه بالفشل ، وبضرورة أن يشترى قلمًا جديدًا ...

كان طيلة عمره شخصية نمطية ، تتشبث بكل ما اعتادت عليه ، وتأبى أن تغير عاداتها ، مهما كانت الأسباب ...

أو حتى التطورات ...

Looloo
www.dvd4arab.com

فحتى مع ظهور وانتشار أجهزة الكمبيوتر ، ورخص ثمنها ، لم تتغير عاداته فى الكتابة بأقلام الحبر وحدها ...

ومنـذ عشر سنوات ، وهو يستخدم القلم نفسه ، ويتفاعل به كثيرًا ...

وها هو ذا يفقده ...

وعلى هذا النحو ...

التقط علبة مخملية ، ووضع فيها قلمه ، ذا السن المكسور ، فى عناية ورفق ، وكأنه يضعه فى مثـواه الأخير ، ثم وضع العلبة بين كتبه العديدة ، وقاوم رغبته العجيبة فى البكاء ، وهو يرتدى ثيابه ؛ للخروج بحثًا عن قلم جديد ...

وبعد ربع الساعة فحسب ، كان يسير نحو سيارته ، المركونة عند ناصية الشارع ، عندما لمح ذلك الرجل عند الناصية ..

كان شيخًا طاعنًا فى السـن ، يجلس عند الركن ، وقد فرش أمامه منديلاً كبيرًا ، ووضع فوقه مجموعة من أشياء مختلفة ، يعرضها للبيع ...

وعاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يحدّق فى شىء واحد ، من بين كل الأشياء ، التى يضعها الشيخ أمامه ..

قلم ...

قلم حبر ، هو نسخة طبق الأصل من قلمه القديم ...

لم يصدّق نفسه فى البداية ، فتسمر فى مكانه ، يحدق فى ذلك القلم ، قبل أن يسأل ذلك الشيخ فى لهفة :

ـ كم ثمن هذا القلم ؟!

رماه الشيخ بنظرة لا مبالية ، ثم أشاح بوجهه ، مغمغمًا فى خشونة :

ـ مائة جنيه .

صدمه الجواب ، مع الغلو المبالغ فى ثمن القلم ، فهتف بالرجل فى حدة :

ـ مائة جنيه ؟!... هل جننت يا رجل ؟!

مطّ الشيخ شفتيه ، وغمغم بنفس الخشونة :

ـ امضِ فى طريقك يا هذا ... إنه لا يناسبك .

Looloo
www.dvd4arab.com

كان يعلم أن الشيخ يساوم ، ولكن المبلغ بدا باهظًا ، بالنسبة لقلم سيعمل ، كما يبدو على هيئته ، فقال محاولاً تهدئة الموقف :

ــ قلم كهذا ، لا يساوى أكثر من ثلاثين جنيهًا ، على أقصى تقدير.

أجابه الشيخ فى خشونة :

ــ إنه يساوى عشرة آلاف على الأقل .

تراجع (العطار) فى دهشة ، ثم استعاد توازنه ، وتساءل فى عصبية :

ــ أهو من ذهب .

خُيِّلَ إليه أنه قد لمح شبح ابتسامة على شفتى الشيخ ، وهو يقول :

ــ إنه أثمن من هذا .

لم يفهم هذا الأسلوب أبدًا ، فمال نحو الشيخ ، قائلاً :

ــ سأعطيك خمسين جنيهًا ثمنًا له .

التقط الشيخ نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ــ إنك تنشد ذلك القلم بالذات ... اليس كذلك ؟!

تظاهر (العطار) باللا مبالاة ، وهــو يهز كتفيه ، قائلاً :

ــ إنه مجرد قلم .

أجابه الشيخ ، فى سرعة وخشونة :

ــ لا ... ليس كذلك ؟!

ثم التقط القلم فى رشــاقة ، لا تتناسب مع التجاعيد المحفورة على وجهه ، وهو يقول ، رافعًا إياه أمام عينى (العطار) :

ــ هذا القلم كــان سبب شهرة أدباء معروفيــن ، فى العالم العربى كله ... كلهــم استعانوا به ... كلهــم عبروا إلى عالم الشهرة من خلاله ... كلهم .

لم يدعه (العطار) يكمل كلماته ، فقال فى لهفة :

ــ سأشتريه .

كان يخرج الجنيهات المائة من حافظة نقوده ، عندما سأله الشيخ بغتة :

ــ أأنت كاتب مثلهم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أدهشه السؤال ولكنه أجاب ، وهو يمد يده بالنقود للشيخ :

ـ بالفعل ... أنا كاتب روائى .

أزاح الشيخ يده ، الممدودة بالجنيهات المائة ، وهو يقول فى حزم خشن :

ـ فى هذه الحالة ، هو هدية لك .

تراجع (العطار) مرة أخرى فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هدية ؟!... ولكنك منذ دقيقة واحدة كنت ...

قاطعه الشيخ فى صرامة ، وهو يشيح بوجهه مرة أخرى :

ـ إنه هدية .

التقط (العطـــار) القلم ، وفحص ســـنه فى اهتمام ، فبدا له سليمًا تمامًا ، مما جعله ينتشى ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف أشكرك .

أجابه الشيخ بنفس الخشونة ، وهو مازال يشيح بوجهه :

ـ عبر ما ستكتبه به ...

ابتسم (العطار) فى امتنان ، وانصرف عن الشيخ ، مسرعًا الخطى إلى منزله ، وقبل أن يصل إليه ، التفت يلقى نظرة أخيرة على ذلك الشيخ ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما فى دهشة بالغة ...

فعند تلك الناصية ، لم يكن هناك أثر لذلك الشيخ ...

لا هو ، ولا كل ما فرشه أمامه ...

كانت الناصية خالية ...

تمامًا ...

وعلى الرغم من دهشته ، لم يضع (العطار) الوقت فى التفكير فى هذا ، وإنما صعد فى سرعة إلى منزله ، وجلس إلى مائدته الخشبية ، وقرأ آخر عبارة كتبها فى روايته ...

ولدهشته البالغة ، وجد الحل على الفور ...

وكان فى الواقع حلاً عبقريًا مبهرًا ...

وتفاءل (العطـــار) بالقلم الجديد ، وراح ينهى روايته فى حماس مدهش ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وكم كانت جمله وعباراته راقية أنيقة هذه المرة ...

كانت كلمات أديب عبقرى بالفعل ...

وكم بدا ناشره سعيدًا بالنتيجة ...

وبسرعة تم نشر الكتاب ...

وبسرعة أكبر ، ذاع صيته ، وبلغت مبيعاته حدًا قياسيًا ، جذب انتباه الصحافة والإعلام ، والأهم أنه قد جذب النقاد ...

ولأول مرة فى تاريخه ، يهتم أحدهم بنقد رواية من رواياته ..

وبكل لهفته ، قرأ ذلك النقد ...

ولم يصدق عينيه ...

كان الناقد يشيد بروايته ، بفكرتها وأسلوبها وأناقة عبارته ..

ولكنه يعيب عليها أمرًا واحدًا ...

الابتذال ...

وطويلاً ، توقف (العطار) عند تلك الكلمة ...

ابتذال ؟!...

إنه لم يلجأ إلى الابتذال ، مرة واحدة فى حياته الأدبية كلها !!..

أسرع يلتقط نسخة من روايته الأخيرة ، وقلب صفحاتها فى سرعة ، بحثًا عن ذلك الجزء ، الذى وصفه الناقد بالابتذال ...

ولهلعه ، وجده بين صفحات روايته بالفعل ...

وصف لمشهد ساخن ، وبكلمات يندى لها الجبين ...

جبينه هو على الأقل ...

وتصبب العرق على ذلك الجبين ، وهو يقرأ تلك الصفحات مرة ...

وثانية ...

وثالثة ..

وبكل غضبه ، أسرع يلتقى بناشره ؛ ليسأله عمَّن أضاف ذلك المشهد الساخن المبتذل إلى روايته ..

« ماذا تعنى بهذا ؟!... »

نطق الناشر السؤال فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يميل نحوه ، مضيفًا فى صرامة غاضبة :

ـ نحن دار محترمة يا أستاذ ، نحترم قانون النشر ، ولا نضيف أو نحذف حرفًا واحدًا ، مما ينشر لدينا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم تراجع فى مقعده ، وهو يضغط زرًا على سطح مكتبه ، مضيفًا :

ــ ولهذا نحتفظ بأصول كل ما يرد إلينا من أعمال .

وبكل ذهوله ، راح (العطـــار) يقـــرأ ذلك المشهد الساخن المبتذل ، والمكتوب بخط يده ، على أوراقه ، ووسط روايته ...

رباه !... كيف كتب هذا ؟!...

ومتى ؟!..

إنه لا يذكر حرفًا واحدًا منه !!...

فكيف فعلها ؟!...

كيف ؟!...

عاد الناشر يميل نحوه ، وهو يقول فى حزم :

ــ هل تحاول أن تقنعنى بأنك لم تكن تعلم ، أن سر انتشار ونجاح روايتك ، هو هذا المشهد بالذات ؟!

حدَّق فيه (العطار) ، دون أن يجيب ، وانسحب من أمامه فى صمت ، عائداً إلى منزله ، وقد قرر كتابة رواية جديدة محترمة ، يطهِّر بها نفسه من عار روايته الناجحة ...

وكم أدهشه أن أنجز رواية من أربعين ألف كلمة ، فى أسبوع واحد ...

وكم أدهشه أكثر ، أن تم طرحها فى الأسواق ، قبل مرور شهر واحد على كتابتها ...

وكان النجاح مدويًا هذه المرة ...

ولم يكن هناك مشهد مبتذل ...

بل عدة مشاهد ...

ودار رأس (العطار) هذه المرة فى قوة ...

لقد راجع روايته مرتين ، قبل إرسالها إلى المطبعة ، ولم يكن بها حرف مبتذل واحد ...

فمن أضاف إليها هذا ؟!...

من ؟!...

كانت شهرته تتنامى ، ومبيعات كتبه تتعاظم ، والكل يتهافت على شرائها ، وحتى ترجمتها ، إلى كل اللغات المعروفة ...

والأهم ، أن ناشره كان يطالبه بسرعة إنجاز رواية جديدة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى مائدته الخشبية ، جلس يبدأ روايته الجديدة ...

وفى هذه المرة ، كانت رواية للرعب ...

خطّ أكثر من خمسين صفحة بقلمه ، قبل أن يأخذ منه الإرهاق مبلغه ، ويأوى إلى فراشه ...

ويحلم ...

يحلم بأن قلمه القديم قد سقط من موضعه ، وارتطم بالأرض ، فانصلح سنه المكسور ...

كان يحلم بهذا ، عندما شعر بتلك الحركة فى حجرة مكتبه ...

نهض من فراشه مذعورًا ، وتسلل مرتجفًا إلى حجرة مكتبه ..

كانت هناك حركة واضحة ..

وبمنتهى الحذر ، وقف عند باب حجرة مكتبه ، ومال برأسه ، يلقى نظرة داخلها ...

وارتجف جسده فى قوة ...

كان هنـــاك شخص بالفعل يجلس عنـــد منضدته الخشبية ، ممسكًا بقلمه ، ومنهمكًا فى الكتابة على أوراقه ...

ولكن ارتجافة جسده لم تقارَن بتلك الانتفاضة العنيفة ، التى شملت جسده كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، مع ذلك الشىء الذى لمحه ...

ذيل ...

ذيل يخرج من ذلك الجالس على مائدته الخشبية ، ويتراقص تراقصًا خفيفًا على الأرضية ... وفى نفس اللحظة ، التى انتبه فيها إلى ذلك الشىء ، التفت إليه الجالس ...

وكانت صدمة أكبر ...

إنه ذلك الشيخ ، الذى أهداه قلمه الجديد ...

ولكن ملامحه كانت تختلف ...

شعره الأشيب ، صار أحمر ناريًا ، يتراقص كالنيران فوق رأسه ، ويبرز من جانبيه قرنان صغيران دقيقان ...

أمَّا عيناه ، فكانتا كتلتين من اللهب ...

وبكل رعب الدنيا ، تراجع (العطـــار) ، ولكن ذلك الشيخ الشيطانى قال فى هدوء خشن :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أهلاً بك فى عالم الشهرة .

حدَّق فيه (العطار) بعينين ملؤهما الرعب ، فرفع الشيخ الشيطانى بعض الأوراق أمامه ، وهو يضيف :

ـ لقد أضفت سبعة مشاهد ملتهبة إلى روايتك ، ستقفز بها إلى القمة .

ثم غمز بعينه النارية ، مضيفًا :

ـ أراهن أنه لن يمضى عام واحد ، حتى تنتقل إلى فيلاً فاخرة ، فى سيارة من أحدث طراز ... هل يروق لك هذا ؟!

مضت لحظات ، و(العطار) يحدق فى ذلك الشيطان الجالس أمامه ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويسأله فى صوت ، بدأ يتماسك :

ـ هل سترينى ما كتبته هذه المرة ؟!

ابتسم الشيخ الشيطانى ابتسامة كبيرة ، برزت معها أنيابه الحادة الرفيعة ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .. هذا ما كنت تحلم به دومًا ... أليس كذلك ؟!

اتجه إليه (العطار) ، وقال فى توتُّر :

ـ أنت تجلس على مقعدى .

نهض الشيخ الشيطانى ، تاركًا له مقعده ، وهو يقول :

ـ لقد اتفقنا ... أليس كذلك ؟!

أشار (العطار) بسبابته ، قائلاً فى صرامة :

ـ قلت فيلاً فاخرة ، وسيارة من أحدث طراز ... وفى أقل من عام واحد ؟!

اتسعت الابتسامة الشيطانية ، وصاحبها يقول :

ـ اتفقنا ...

ثم ربَت على كتفـه ، وشعر (العطـار) بسخونة كبيرة مع تربيتاته ، وهو يضيف :

ـ أهلاً بك فى عالم الشهرة .

وازدادت عيناه الناريتان اشتعالاً ، مع إضافته :

ـ فى الجحيم .

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى الرغم من أن (العطار) لم يسمع هذا ، فقد قرن الشيخ عبارته بضحكة شيطانية كبيرة فى أعماقه ...

ضحكة طويلة ...

وظافرة .

* * *

3 ـ يوم من عمرى ...ـ

يوم لن أنساه أبدًا ...

يوم من عمرى ، يختلف عن أى يوم آخر ...

يوم بدأ كأى يوم عادى ...

وانتهى كما لم ينته أى يوم آخر ...

أو ربما لم ينته بعد ...

لست أدرى ...

حقًا لست أدرى ...

ولا تندهشوا من كلماتى هذه ...

اسمعوا القصة أولاً ، ثم اندهشوا ...

قصة يوم واحد ...

من عمرى ..

كان يومًا من أيام الصيف ، التى اشتدت فيها الحرارة ، إلى حد خانق ، وما استتبعه هذا من توتر وعصبية وضيق صدر ،

Looloo
www.dvd4arab.com

لدى العديد ممَّن يعملون معى ، فى قسم التاريخ ، بكلية آداب (القاهرة) ...

ولقد انهمكت يومها فى مراجعة بعض الأبحاث التاريخية ، لفترة ما قبل حركة يوليو 1952م ، وقمت بتشغيل مكيِّف الهواء ، خافضًا درجة حرارته إلى الحد الأدنى ؛ لعل هذا يخفِّف قليلاً من حرارة الجو ...

وعلى الرغم من تعليماتى المشددة ، دخلت سكرتيرتى إلى المكتب ، وهى تشير بيدها ، قائلة فى توتر ، لم أنتبه إليه للوهلة الأولى :

ــ الرجل عاد مرة أخرى يا دكتور (مصطفى) .

رمقت عينى إليها ، متسائلاً فى حيرة ، امتزجت بالكثير من الضيق :

ــ أى رجل ؟!

عندئذ فقط انتبهت إلى توترها ، وهى تجيب :

ــ الرجل الذى أخبرتك عنه ، عندما وصلت إلى المكتب ... مازال هنا ، ويصر على أن يقابلك ؛ لأمر يصفه بأنه عاجل للغاية ...

لم أكن أذكر أنها قد حدثتنى عن أى رجل ، إلا أننى تصورت أنها قد أخبرتنى ، وأنا شارد مع أفكارى ، فغمغمت فى ضيق :

ــ ولكنك تعلمين كم أنا منشغل ، و ...

قاطعتنى فى عصبية ، لم أعتدها منها أبدًا :

ــ إنه شديد الإلحاح .

وقبل أن أقول شيئًا ، أردفت فى بؤس :

ــ ثم إنه يخيفنى كثيرًا .

كلماتها مست زر الفضول فى أعماقى ، فحدَّقت فيها لحظات فى شىء من الدهشة ، قبل أن أقول ، متراجعًا بمقعدى :

ــ فليكن يا (نورا) ... سأقابله .

بدا عليها ارتياح عجيب ، وغادرت المكتب ، ومضت ثوانٍ من السكون ، قبل أن يدلف ذلك الرجل إلى مكتبى ...

ومع النظرة الأولى ، أدركت لماذا يخيفها ...

الرجل كان فارع الطول ، إلى حد يثير الدهشة ، شاحب الوجه ، إلى درجة تثير الانتباه ، جامد القسمات ، إلى حد الخوف ...

Looloo
www.dvd4arab.com

الخوف الذى ينقله إليك ، بمجرد النظر إلى وجهه ...

ولكن المثير أكثر ، أنه كان يرتدى معطفًا شتويًا ...

ظللت أحدِّق فيه لحظات ، فى حين انسحبت (نورا) ، وأغلقت الباب خلفها ، وكأنها تصنع حاجزًا ، بينها وبين ذلك الزائر المخيف ، صاحب الشارب الضخم ...

وفى صعوبة ، انتزعت نفسى من توترى ، وأنا أسأله :

ـ لماذا تصر على مقابلتى يا سيدى ؟!

أشار بيده ، قائلاً فى شحوب ، ينافس وجهه على نحو عجيب :

ـ (مراد) ... (مراد) باشا المصرى .

تراجعت فى مقعدى ، مغمغمًا فى دهشة :

ـ باشا ؟!

هز كتفيه ، قائلاً فى شحوب :

ـ يمكنك أن تعتبره اسمًا .

صمتُّ لحظات ، ثم أشرت إليه بيدى مرة أخرى ، قائلاً فى لهجة ، حاولت أن أجعلها هادئة واثقة :

ـ لم تخبرنى بعد ماذا تريد منى .

اقترب منى ، وهو يقول :

ـ أطروحتك الأخيرة ، بها خطأ تاريخى رهيب .

تساءلت فى تلقائية :

ـ حقًا ؟!

دعا نفسه للجلوس ، على المقعد المواجه لمكتبى ، وهو يكمل :

ـ تحدثت عن (أكرم) باشا ، باعتباره كان أحد من ساهموا فى احتلال الإنجليز لـ (مصر).

أدهشنى معرفته بهذا البحث التاريخى شديد التعقيد ، واستفزت عبارته سمعتى العلمية ، فملت نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ هل تعلم كم بذلت من جهد ، حتى توصلت إلى هذه المعلومة ... لم يكن هناك من يعلم شيئًا عن (أكرم) باشا ، أو دوره السرى فى التعاون مع الاحتلال الإنجليزى ، حتى كشفت أنا عن هذا الأمر .

بدت على وجهه الشاحب ابتسامة شبه ساخرة ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وماذا كشفت ؟!

بدا الأمر أشبه بتحدٍ علمى ، فقلت بلهجة تناسب هذا :

ـ كنت أراجع بعض الصور القديمة ، التى حصلت عليها ، من متجر صغير ، فى منطقة سور (الأزبكية) ، عندما عثرت على صورة له ، مع قائد الحملة البريطانية ، التى احتلت (مصر) ، عام 1882م .... ولقد قضيت ما يقرب من عامين ، فى البحث عن اسم وهوية صاحب الصورة ، حتى علمت من هو ... وبحسبة بسيطة ، أمكننى فهم الأمر كله .

مطَّ شفتيه ، وهو يقول :

ـ صورة ... مجرد صورة !!

ثم مال نحوى بدوره ، مضيفًا فى صرامة :

ـ هل يبدو لك هذا أسلوبًا علميًّا بحثيًا سليمًا ؟!

انعقد حاجباى فى غضب ، وأنا أقول :

ـ التاريخ ليس وجبة سهلة يا هذا .

قاطعنى فى صرامة :

ـ اسمى (مراد) باشا .

ابتسمت فى عصبية ، وأنا أكمل :

ـ فليكن .. إنه ليس وجبة سهلة الهضم يا (مراد) .. باشا .. التاريخ لا يمنحنا كل ما نريد دومًا ، بكل التفاصيل التى ننشدها .. الأبحاث التى قمت بها ، أرشدتنى إلى أن (أكرم) باشا كان يرتبط بعلاقات قوية مع قوات الاحتلال الإنجليزية ، وكان أحد المدعوين فى حفلاتهم الخاصة ... بل إنه أقام بعض تلك الحفلات على نفقته الخاصة ... فكيف يبدو لك هذا ؟!.

أشار بيده ، قائلاً :

ـ هناك أكثر من تفسير ، ولكنك اخترت منها ما يناسب ما تريد أن تتوصل إليه .

تراجعت محدِّقًا فيه فى غضب ، قبل أن أقول فى صرامة ، تسلل إليها شىء من الحدة :

ـ لم تخبرنى بعد بمستوى درجتك العلمية .

صمت لحظات ، ثم قال فى صرامة :

ـ صدقنى ، ما لدى من معلومات ، يفوق ما لديك بكثير ...

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، قبل أن يضيف :

Loolee
www.dvd4arab.com

ـ بالنسبة لهذه الفترة التاريخية على الأقل .

سألته فى حدة :

ـ من أى منطلق ؟!

أجابنى فى حزم :

ـ من منطلق لن يمكنك استيعابه ... أبدًا .

ثم عادت تلك الابتسامة الساخرة إلى شفتيه ، وهو يتابع :

ـ وفقًا لمستواك العلمى .

بدت لى عبارته الأخيرة مستفزة للغاية ، فنهضت معلنًا انتهاء المقابلة ، وأنا أقول فى صرامة غاضبة :

ـ هات أدلتك التاريخية ، وربما ... أقول ربما أعيد النظر بعدها فى أمر (أكرم) باشا ...

لم ينهض بدوره ، كرد فعل لنهوضى ، وإنما ظل جالسًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ (أكرم) باشا كان بطلاً .

قلت ساخرًا :

ـ ليس إلى هذا الحد .

تابع ، وكأنه لم يسمعنى :

ـ عندما احتل الإنجليز (مصر) ، أدرك (أكرم) باشا أن مقاومتهم لن تكون بالسهلة أو البسيطة ؛ لذا فقد قرر أن يقاومهم بأسلوب جديد ، رأى بعبقريته ، أنه أفضل سلاح لمواجهتهم .

وعلى الرغم من غضبى ، دفعنى الفضول العلمى إلى سؤاله :

ـ أى سلاح هذا ؟!

أجابنى فى حزم :

ـ المعلومات .

جذبت إجابته انتباهى فى شدة ، فعدت إلى الجلوس ، دون أن أنتبه ، وأنا أكرر :

ـ المعلومات ؟!

تابع ، دون أن يبالى بتعليقى :

ـ ما هى أفضل وسيلة ؛ لتحصل على معلومات عن عدوّك ؟!... إنها أن تقترب منه ، وتكتسب ثقته ... وتصادقه أيضًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم التفت نحوى فى هدوء ، مضيفًا :

ــ وهذا ما فعله (أكرم) باشا .

غمغمت فى انبهار علمى :

ــ ولكن شيئًا من هذا لم يذكره التاريخ .

أجاب فى سرعة وحزم :

ــ لأنه أجاد دوره ... ولأنه لم يكن يبحث عن مجد شخصى ، بل يسعى خلف هدف واحد كبير.

واكتسب صوته نبرة اعتزاز كبيرة ، وهو يضيف :

ــ (مصر) .

شعرت برجفة فى أوصالى ، عندما نطق اسم (مصر) ، فى حين نهض هو فى هدوء ، والتقط كتابًا من مكتبتى ، وضعه أمامى ، وهو يقول :

ــ راجع أبحاثك حول (أكرم) باشا ... الرجل يستحق ما هو أفضل مما فعلت .

ثم وضع يده على كتفى ، مضيفًا فى حزم :

ــ هذا حقه .

مع قوله ، شعرت بحالة عجيبة ، لم أشعر بها فى حياتى من قبل ...

شعرت وكأن طاقة هائلة قد عبرت جسدى كله ، قبل أن تندفع كلها نحو رأسى ، ثم تنفجر فى مخى بعنف ...

ودار رأسى فى قوة ، حتى شعرت وكأننى لا أستطيع حمله فوق كتفى ، فتهاوى إلى الأمام ، وشعرت بألم ارتطامه بسطح مكتبى ، و ...

« دكتور (وصفى) ... » ...

التقطت آذانى فى صعوبة صوت سكرتيرتى (نورا) ، فانتزعت نفسى من تلك الدوامة العقلية ، ورفعت رأسى فى تهالك ، وأنا أقول :

ــ ماذا هناك ؟!

بدا صوتها قلقًا ، وهى تقول :

ــ أنت نائم منذ خمس ساعات .

خمس ساعات ؟!...

Looloo
www.dvd4arab.com

لوهلة ، لم أفهم هذا أو أستوعبه !!...

كل ما أذكره هو ارتطام رأسى بسطح المكتب ...

ولكننى كنت أشعر أن هذا كان منذ لحظة واحدة !!...

أيمكن أن أكون قد فقدت الوعى ...

« هل انصرف ذلك الرجل ؟! ... » ...

ألقيت السؤال على (نورا) ، وأنا أحاول استعادة توازنى ، فبدت عليها الدهشة ، وهى تسأل :

ــ أى رجل ؟!

أجبتها فى تهالك ، لم أدر له سببًا :

ــ الرجل ذو المعطف الشتوى ... الرجل الشاحب ، الذى أخافك .

لم أسمع جوابها ، فرفعت عينىَّ إليها ، وأدهشتنى تلك النظرة المذعورة فى عينيها ، قبل أن تقول فى توتر :

ــ سأعد لك قدحًا من القهــوة ؛ لتمحى من رأسك أثر هذا الكابوس .

كابوس ؟!...

أى قول هذا ؟!...

ماذا تعنى (نورا) ؟!...

« ألم يقم رجل بهذا الوصف بزيارتى ، منذ ... منذ خمس ساعات ؟!.... » ...

ألقيت عليها السؤال فى اضطراب ، فاتسعت عيناها فى ذعر أكثر ، ثم هزت رأسها مكررة :

ــ سأعد قدح القهوة .

قالتها وانصرفت ، تاركة إياى فى دهشــة ، تكاد تبلغ حــد الذهول !!

هل كان كابوسًا حقًا ؟!...

ألم يزرنى ذلك الشاحب فعليًا ؟!...

لم يستطع عقلى المجهــد إجابة تســاؤلاتى ، فتراجعت فى مقعدى ، وأنا أشعر بصداع غير طبيعى ، و...

وفجأة ، تسمرت عيناى على كتاب فوق سطح مكتبى ...

Looloo
www.dvd4arab.com

نفس الكتاب ، الذى سحبه ذلك الزائر ، ووضعه حيث أراه ...

لو أن هذا لم يكن حقًا مجرد كابوس ...

حدّقت فى الكتاب لحظات ، قبل أن انتبه إلى أنه كتابى ...

نفس الكتاب ، الذى تحدّثت فيه عن (أكرم) باشا ، وأضفت إليه بعض صوره ، التى بذلت جهدًا خرافيًا لجمعها ...

وفى تردد لم أفهم له سببًا ، التقطت الكتاب ، وفتحته عند ملزمة الصور ...

ثم اتسعت عيناى عن آخرهما ، حتى تصورت أنهما سيلتهمان وجهى كله ...

فمن بين الصور ، التى تحويها الملزمة ، توقفت عيناى المذعورتين عند صورة واحدة ...

صور لـ (أكرم) باشا ، وهو يقف إلى جوار القائد الإنجليزى ، وخلفه ، على مسافة قريبة ، يقف رجل آخر ...

رجل فارع الطول ، شاحب الوجه ، له شارب ضخم ، ويرتدى معطفًا شتويًا ...

تراجعت كالمصعوق ، وانطلق عقلى ملتهبًا ، يطرح عشرات الأسئلة ...

هل كان بالفعل كابوسًا ؟!...

وإن لم يكن كذلك ، فكيف يمكن أن ألتقى ، فى بداية العقد الثانى من القرن العشرين ، برجل كان يحيا ، بنفس هيئته ، فى العقد العاشر ، من القرن التاسع عشر ؟!...

كيف يمكنه حتى أن يصل إلى هنا ؟!..

كيف ؟!...

وكيف ؟!...

وكيف ؟!...

أسئلة بلا حصر ، ألهبت مخى ، والتهمت أعصابى ، ولكنها فجرت فى أعماقى هدفًا جديدًا مدهشًا ...

لابد وأن أعيد دراسة تاريخ (أكرم) باشا ...

من أجل الحقيقة ، التى أتصور أننى لن أتوصل إليها كاملة أبدًا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

لأن الحقيقة لن تشمل (أكرم) باشا وحده ...

بل (مراد) باشا أيضًا ....

(مراد) باشا الشاحب ...

الغامض ...

المخيف ...

للغـــاية .

* * *

4 ـ سـوف أحيـا ...

ما هذا التعامل الخشن الجاف ؟!...

أولئك الناس يتعاملون بأسلوب ، لا ذرة فيه للرحمة أو الشفقة ..

وهـذا على الرغم مـن أنهم يجهلـون طبيعتى ، التى بذلت قصارى جهدى لأخفيها ، طوال أكثر من عشرة أعوام ...

فأنا مثلهم ، لا مكان فى قلبى للشفقة أو الرحمة ...

وهذا أمر طبيعى ...

ببساطة ، لأن عملى الظاهرى ، كمحاسب فى شركة تأمين كبرى ، هو مجرد ستار جيد ؛ لمهنتى الحقيقية ...

القتل ...

نعم ، أنا قاتل محترف ...

ولكننى لست قاتلاً عاديًا ...

أنا قاتل من طراز خاص ..

خاص جدًا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وطوال عشرة أعوام ، مارست عملى فى دقة متناهية ، وعبر نظام متقن ، حتى أن أحدًا من عملائى لم يعـرف حتى مع من يتعامل ...

فالاتفاق كان يتم عبر شبكة الإنترنت ، ومن خلال رسالة بسيطة المظهر ...

« مطلوب مبيد حشرى ؛ للقضاء على سنجاب كبير » ...

ومع رؤيتى للرسالة ، أبدأ فى الاتصال بالعميل ...

وفى كل مرة بوسيلة مختلفة ...

مبتكرة ...

وفريدة ...

احصل على ملف كمبيوتر ، يحوى صورة الهدف وبياناته ...

ويتم دفـع المبلغ ــ كاملاً ــ من خـلال وضعه فى تجويف شجرة قديمة ، فى قلب حديقة الأورمان ...

وخلال سبعة أيام ، يتم التخلص من الهدف ..

ودومًا بوسيلة مبتكرة ...

وشديد البراعة ...

ولا يمكن أن تثير أدنى شبهة جنائية ...

حادث سيارة ...

صعق كهربى ...

أزمة قلبية ...

سقوط عرضى من شرفة ...

تسمم غذائى ...

فى أحوال كثيرة جرت تحقيقات جنائية ...

إلا أنها أبدًا ، لم تسفر عن شىء ...

دومًا نهاية مسدودة ...

وقيد للحادث باعتباره بعيدًا عن الشبهات الجنائية ...

فى البداية ، كنت أتقاضى خمسة آلاف جنيه ؛ للتخلص من سنجاب واحد ...

ثم ارتفع المبلغ إلى عشرة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم عشرين ...

ثم خمسين ألفًا ...

بالسخافة هؤلاء الأشخاص ، الذين يتعاملون معى بمثل هذه الفظاظة ، كما لو كنت لوحًا من الخشب ، ولست أعظم قاتل محترف فى تاريخ مصر ...

ولكنهم معذورون ...

لأنهم لا يعلمون ...

فطوال عملى ، كنت شديد الحرص والحذر ...

ولكن العجيب أن عملى قد لقى رواجًا كبيرًا ، فى السنوات الثلاث الأخيرة ...

كنت فيما مضى ، أتخلص من سنجاب أو سنجابين فى الشهر على الأكثر ...

وفى العام الأخير ، وصل المتوسط إلى خمسة سناجب فى الشهر الواحد ...

على الأقل ...

وكم سيدهشك كم الناس ، الذين يطلبون خدمات شخص مثلى ...

منافس صناعى ...

أو سياسى ..

زوجة غيور ...

قريب يتعجل الميراث ...

غاضب ينشد الانتقام ...

زوج يسعى للزواج من أخرى ...

أسباب عديدة ، ولا حصر لها ...

إنه حقًا مجتمع مريض ...

مجتمع يحتاج إلى جيش من الأطباء النفسيين ...

ولكن هذا لا يعنينى ...

فليصب المجتمع كله بالجنون ...

أو الخبل ...

Looloo
www.dvd4arab.com

أو فلتذب عقولهم كلها داخل جماجمهم ...

المهم أن يواصلوا طلب خدماتى ...

وأواصل تقديمها ...

ياللسخافة .. هل سأضطر لتحمل هذه الفظاظة لفترة طويلة ؟!..

تراودنى رغبة عارمة ، فى أن أطبق على رقابهم جميعًا ، حتى أرى عيونهم تقفز من محاجرها ..

ولكن لا ...

لن أكشف أمرى ، بعد كل هذه السنوات من الحيطة والحذر ..

كل ما يحتاجه الأمر هو الصبر ...

مزيد من الصبر ...

« أريدك أن تتخلص من هذا السنجاب » ...

هكذا كانت آخر رسالة وصلتنى ، عبر موقع الإنترنت ...

ومع الرسالة كان هناك ذلك الملف التقليدى ...

وعندما فتحته ، شعرت بدهشة ، لم تراودنى أبدًا ، منذ بدأت عملى هذا ...

فالصورة التى حواها الملف ، كانت صورة فتاة رقيقة ، باسمة ، تملأ الطيبة ملامحها ، وتبدو فى عمر لم يبلغ العشرين بعد ..

وعلى الرغم من لامبالاتى ، وجدت نفسى أتساءل : من يريد التخلص من فتاة بهذه الرقة والبراءة ؟!..

ولماذا ؟!...

راجعت كل ما اكتسبته من خبرات ، خلال سنوات عملى ؛ فى محاولة للبحث عن الجواب ...

ربما هى عانق ، يقف بين من يسعى لقتلها ، وميراث كبير ..

ربما ...

بل هذا هو الأرجح ...

وإلا فلماذا ؟!...

لماذا ؟!...

لماذا ؟!..

أدهشنى أن يشغل الأمر ذهنى ، لأول مرة فى حياتى ، على هذا النحو ...

Looloo
www.dvd4arab.com

لقد كنت دومًا أؤدى دورى ، دون أن أبالى بالأسباب ...

سنجاب مطلوب التخلص منه ...

فأفعل ..

هكذا كان يدور الأمر ...

بلا أسئلة ...

أو تساؤلات ...

أو حتى فضول ..

عمل بحت ...

مجرد عمل ...

راجعت كل بيانات الهدف ، وجلست أضع خطة العمل ...

إنها تقيم مع خالها وزوجته ، فى فيلا صغيرة ، فى السادس من أكتوبر ..

ويوم الثلاثاء القادم ، سيذهب خالها وزوجته لحضور حفل فى الأوبرا ...

وستبقى هناك وحدها ؛ لإنهاء مشروع تخرجها ...

الحفل يبدأ فى السابعة ، وينتهى فى الحادية عشرة ...

والعودة إلى مدينة السادس من أكتوبر ، تحتاج إلى ساعة إضافية على الأقل ...

الحادية عشرة إذن ساعة مناسبة للتنفيذ ...

أما عن الوسيلة ، فلدىَّ خطة ...

سأفاجئها ، وأفقدها الوعى بأسلوبى الفنى ، الذى لا يترك أثرًا على الجسد ...

وبعدها أضع إناء الشـــاى على الموقد ، وأفتح الغـــاز ، دون إشعال النار ...

وخلال ساعة ، فى فيلاً مغلقة ، سيؤدى الغاز دوره ...

وسيعثرون عليها صريعة فى هدوء ..

الغاز سيقتلها ...

هكذا سينتهى تقرير الشرطة ...

حادث عرضى ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ومســاء الثلاثاء ، أعددت كل ما يلزم ، وانطلقــت إلى حيث الهدف ...

إلى السادس من أكتوبر ...

والآن ماذا ؟!...

الأمر تجاوز الحد ، وهؤلاء السخفاء يتمادون أكثر مما ينبغى ..

هل أواصل الصمت والصبر ؟!...

أم أنقض عليهم ؟!...

أنهم لا يمكن أن يتخيلوا ما سيصيبهم ، لو قررت الانقضاض عليهم ...

سأمزقهم إربًا ...

وبلا رحمة ...

ولكن لا ... سأحاول الانشغال عنهم ، وعن سخافة ما يفعلونه ، عبر استرجاع تلك الذكريات ..

ذكريات آخر عملية نمت بها ...

يومها ، كل شىء سار كما خططت له تمامًا ...

وصلت إلى الفيلاً فى العاشرة والربع ...

وقضيت نصف ساعة فى دراسة مداخلها ومخارجها ...

ثم بدأت التنفيذ ..

وبسرعة ، كنت داخل الفيلاً ...

براعتى فى اقتحام الاماكن ، لا تقل عن مهارتى فى القتل ...

فى خفة ، رحت أتسلل إلى حيث تنهى تلك الرقيقة عملها ... إلى حجرة المعيشة ، فى الطابق الأرضى ...

البيانات فى الملف كانت دقيقة ووافية للغاية ، ووصف المكان ، وخريطة الوصول إلى حجرة المعيشة ...

لا ريب فى أن طالب التخلص منها هو خالها ...

أو ربما هى زوجة خالها ...

أو كلاهما على الأرجح ..

طرحت الأمــر عن ذهنى ؛ حتى لا يؤثر على حســن تقديرى للأمور ، واقتربت فى خفة من حجرة المعيشة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

واقتربت ..

واقتربت ...

وفى حذر ، ملت أختلس نظرة داخلها ...

كانت حجرة بسيطة ..

أنيقة ...

وخالية ...

لم تكن تلك الرقيقة هناك ..

وكان الـ ....

قبل أن أصل إلى هذا ، شعرت بتلك الحركة من خلفى ...

واستدرت بأقصى سرعة ...

أو أننى قد حاولت ...

نعم ... أذكر أننى قد حاولت ، قبل أن أشعر بذلك الألم الرهيب ، فى مؤخرة عنقى ...

ولا ريب فى أننى قد سقطت أرضًا ؛ لأننى سمعت تلك الرقيقة ، وهى تهتف عبر هاتفها المحمول :

ـ لص يا خالى .. لقد شعرت به .. وأظن .. اظن أننى قتلته .

قتلتنى ؟!... لا إنها لم تقتلنى ، ولكنها حطمت شيئًا ما فى مؤخرة عنقى ...

ربما لهذا لا يُمكِّننُى أن أتحرك ...

أو أتكلم ...

ولكننى أشعر بكل ما حولى ، حتى أولئك السخفاء ، الذين تساءل أحدهم :

ـ ألن ننتهى من هذا ؟!... الحكومة لا تسمح بالدفن ، بعد غياب الشمس .

الدفن ؟!... رباه !... لا ... أنا حىّ ... ربما لا يمكننى الإفصاح عن هذا ، ولكننى حى ...

لست أدرى ما يفعلونه ، ولكننى أشعر بهم يهبطون بى بضع درجات ، فى مكان مظلم رطب ، تفوح فيه رائحة مخيفة ...

رائحة الموت ...

وهاهم أولاء ينصرفون ...

Looloo
www.dvd4arab.com

لا ... لا يمكن أن يدفنونى حيًا ...

إننى قوى البنية ، وسوف أحيا طويلاً ، فى هذا القبر ، قبل أن ألفظ أنفاسى الأخيرة ...

سوف أحيا فى رعب ماله من مثيل ...

حاولت أن أصرخ ...

حاولت ...

وحاولت ....

وسمعت صوت إغلاق القبر ...

ويالها من نهاية مفزعة ..

نهاية سأحيا كل لحظة من عذابها ..

سوف أحيا ...

وهنا يكمن العذاب ...

كله .

* * *

5 ـ قطع صغيرة ...

بكل الحذر ، أوقف (خالد) سيارته ، عند المدخل الخلفى لمصنع اللحوم ، الذى يمتلكه مع شريكه (مجدى) ...

وما أن لمح خفير المصنع السيارة ، حتى اندفع نحوها ، هاتفًا :

– (خالد) بك ... أهلاً أهلاً .

ثم تساءل فى فضول ، قبل حتى أن ينطق (خالد) :

– ولكن ليس من عادة سيادتك زيارة المصنع ليلاً .

أجابه (خالد) ، فى خشونة لم يتعمدها :

– جئت للتفتيش عليك طبعًا ... إنه مصنعى .

ارتبك الخفير ، وتراجع هاتفًا :

– وها أنتذا تجدنى يقظًا يا (خالد) بك .

استنفر (خالد) كل جهده ؛ ليبدو صارمًا ، مداريًا توتره الشديد ، وهو يشير بيده للخفير ، صائحًا :

– هيا ... افتح الأبواب .

Looloo
www.dvd4arab.com

أسرع الخفير يفتح أبـواب المصنع الصغير أمامه ، فانطلق (خالد) بسيارته ، يعبر ساحة المصنع ، ثم صاح بالخفير ، وهو يغادر السيارة :

ـ أغلق الأبواب ، وانتظرنى خارجًا ، حتى أنتهى من جولتى التفتيشية .

لم يدر الخفير عن أى شىء سيقوم (خالد) بالتفتيش ؛ فالمصنع لا يعمل ليلاً ، وليس به الآن عامل واحد ...

ولكنه ، وكعادة بسطاء الناس ، أطاع أمر صاحب عمله ، وأغلق الأبواب ، ووقف خارجها ينتظر ...

ولم يعاود التفكير فى الأمر ثانية أخرى ..

على الإطلاق ...

وفى ساحة المصنع ، توقف (خالد) ، يتطلع إلى ما حوله ، وكأنما يتأكد من أن أحدًا يستحيل أن يراه ، فى تلك المنطقة الصناعية الصامتة ، ثم اتجه إلى الباب الداخلى للمصنع ، ودفعه ، ورفع ذراع الكهرباء ، ذات الضغط المرتفع ، ليضاء المصنع كله دفعة واحدة ...

ولثوان ، توقف وعقله ينبض فى سرعة تفوق نبضات قلبه ..

إنه مصنع صغير حقًا ، ولكنه يحوى ما هو أكثر من المطلوب ..

دار بعينيه بين آلات المصنع الكبيرة ، قبل أن يتوقف بصره عن الآلة التى جاء خصيصًا من أجلها...

آلة الفرم العملاقة ...

تطلع إليها لحظات ، وهو يشعر بتوتر ما بعده توتر ...

وفى خطوات مرتبكة شديدة التوتر ، اتجـه نحـو آلة الفرم العملاقة ، ورفع ذراع تشغيلها ...

وفورًا بدأت الآلة عملها بهدير قوى ، انتفض له جسده كله فى عنف ...

ومع انتفاضته ، انطلق عقله يسترجع ذكرى قريبة ...

قريبة للغاية ...

« أنت تختلس أموال المصنع يا (خالد) ... » ...

صرخ شريكه (مجدى) بالاتهام فى وجهه ، فتراجع أمامه ، هاتفاً بكل توتره :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أى قول هذا يا (مجدى) ؟!...

ألقى (مجدى) كومة من الأوراق أمامه ، وهو يصرخ غاضبًا :

ـ القول الذى تؤكّده مراجعة دقيقة لهذه الأوراق .

حدّق (خالد) فى الأوراق ، وهو يغمغم فى ارتباك :

ـ يمكننى تفسير كل هذا .

صرخ فيه (مجدى) :

ـ لن تفسره لى .

تساءل فى ذعر :

ـ لمن إذن ؟!

اتجه (مجدى) مباشرة نحو هاتف الشركة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ للنيابة .

يذكر جيدًا أن جسده كله قد ارتعد ...

وبمنتهى القوة ...

يذكر هذا جيدًا ...

ولكنه لا يذكر ما حدث بعدها أبدًا ...

كل ما يذكره هو (مجدى) الملقى أرضًا ، والدماء تنزف من رأسه ، وهو يقف على مسافة نصف متر منه ، ممسكًا بتمثال برونزى ثقيل ...

وعند هذا المشهد ، تجمد الموقف كله ...

وبينما يحدّق فى جثة مجدى ، راح عقله يعمل ...

لقد قتله ...

فقد أعصابه ، عندما أتى ذكر النيابة ...

وقتله ...

والآن ماذا ؟!...

لقد كشف (مجدى) أمره ، وأصر على إبلاغ النيابة ...

ولم يدع له سوى هذا السبيل ...

القتل ...

ولقد تم القتل وانتهى الأمر ...

Looloo
www.dvd4arab.com

السؤال الآن هو كيف ؟!..

كيف يمكنه الإفلات من جريمة قتل ؟!

درس عقله الأمر فى سرعة ، فلم يجد أمامه سوى سبيل واحد ...

وبسرعة ، راح يعمل على تنظيف بقعة الدم ، على أرضية الحجرة ، ثم أحضر مفرشًا كبيرًا من البلاستيك ، وخلع ثياب (مجدى) كلها ، ثم لفه فى ذلك المفرش ، وحمل ثيابه فى كيس قمامة كبير ، ووضعه فى سيارته ، ثم استغل هدوء الحى ، الذى يقع فيه مقر الشركة ، ونقل الجثة إلى صندوق سيارته ...

وانطلق إلى المصنع ...

وفى المصنع ، سينتهى كل شىء ...

كل ما عليه الآن ، هو أن يحمل الجثة إلى منصة اللحم ، ويلقيها فى آلة الفرم العملاقة ، وهى ستتولى الباقى ...

ستفرم اللحم ..

وتطحن العظام ...

وتمزج كل هذا بالدماء ...

وفى النهاية ، ستخرج لحمًا مفريًا ...

لحمًا يشبه أى لحم مفرى ..

وحسبما يعلم ، بدون جثة ، لا توجد جريمة ..

عند هذه النقطة ، عاد إلى سيارته ، وأخرج منها جثة (مجدى) ، وحملها على كتفه ، وراح يصعد بها إلى حيث منصة اللحم ...

وهناك ، وقف يلهث ، وهو يتطلع إلى آلة الفرم ، وهى تعمل بذلك الهدير القوى ...

وفى صعوبة ، ازدرد لعابه ، وراح يطرح على نفسه أسئلة جديدة ...

كيف كشف (مجدى) الأمر ؟! ..

لقد دبَّر كل شىء بمنتهى الدقة ...

الأوراق ...

والمستندات ..

ومسحوبات البنوك ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وحتى تلك البنود الصغيرة فى العقود ...

سنوات ، وهو يقوم بهذا فى صبر ...

سنوات أضافت إلى رصيده مليونى جنيه ...

ولكنه يستحق كل جنيه منهم ...

إنه يقوم وحده بكل العمل ..

كل العمل ...

(مجدى) يشارك بنقوده فحسب ..

صحيح أنه لولا نقوده ، لما كانت الشركة أو كان المصنع ..

ولكن لولا جهوده أيضًا ، والتى تفوق نقود (مجدى) ، لما وصل المصنع إلى ما وصل إليه ...

ثم إن (مجدى) هو من بدأ كل هذا ...

هو من دفعه لاختلاس الأموال ...

هذا عندما رفض منذ البداية أن يكون منصفاً ...

لقد منحه أربعين فى المائة من الإيراد ، مقابل الإدارة ...

عليه إذن أن يدير كل الأمور ...

ويتحمل كل المسئوليات ...

ويعقد كل الصفقات ...

ويجنى كل الأرباح ...

ثم يحصل (مجدى) على ستين فى المائة منها ، مع نهاية كل سنة مالية ...

ويحصل هو على أربعين فى المائة ...

فقط أربعون ...

أهذا عدل ؟!...

لو أنه كان عادلاً منذ البداية ، لما كان ما كان ...

ولما حاول تعويض الفارق ...

ولما كشف الأمر ...

ولما قتله ...

انتفض جسده مرة أخرى ، عندما بلغ هذه النقطة ، وكأنما ينتبه للمرة الأولى ، إلى الجريمة البشعة التى ارتكبها ...

Looloo
www.dvd4arab.com

نقل بصره مرتين ، بين جثة (مجدى) ، والمفرمة العملاقة بهديرها القوى ...

لم تتبق أمامه سوى دفعة واحدة ...

دفعة يلقى فيها الجثة فى فوهة المفرمة العملاقة ...

ثم ينتهى كل شىء ...

استجمع ما تبقى له من شجاعة ، واقترب من جثة (مجدى) ، و ....

تراجع فى عنف ...

وانتفض جسده فى قوة ...

فمن جثة (مجدى) ، ندت حركة ..

ثم آهة ...

رباه !!... إنه لم يمت بعد ...

مازال حيًّا ...

فارق كبير ، بين أن تلقى جثة فى مفرمة جبارة ...

أو أن تلقى شخصًا حيًّا ...

ولكن كيف ؟!...

مع كل ما نزف من دماء مازال حيًّا !!...

كيف ؟!...

كيف ؟!...

ولكن لا ...

لا يمكن أن يتراجع ...

حى أو ميت ، سيدفعه إلى فوهة آلة الفرم الجبارة ...

وحتمًا لن يشعر بشىء فى الحالتين ...

فالآلة تعمل بسرعة جبارة ...

خلال ثوانٍ خمس ، ستكون قد فرمته ...

وطحنته ...

وسحقته سحقًا ...

انتفض جسده مرة أخرى ، مع حركة تالية ، ندت من الجثة ، فاندفع نحوها ، صارخًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ليس بعد كل هذا .

رفع قدمه ؛ ليركل جثة (مجدى) ، قبل أن تتوقف اندفاعته ، فاختل توازنه ، و ...

وسقط ...

ومن حلقه ، انطلقت صرخة مدوية ، وهو يضرب الهواء ، محاولاً التشبث بشيء ما ...

أي شيء ...

والعجيب أن محاولته نجحت ، وتشبثت يداه بفوهة آلة الفرم العملاقة ، وهو يواصل الصراخ بكل قوته ...

ويواصل ...

ويواصل ...

ومن طرف عينيه ، لمح الخفير يقتحم المكان ، وهو يشهر بندقيته ، فصرخ فيه :

ـ أوقف المفرمة .... اوقفها .

وقف الخفير حائرًا ، لا يدرى كيف يوقف هذه الآلة الجبارة ، فصرخ (خالد) :

ـ الذراع هناك ... الـ ....

بتر عبارته فجأة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما التقطت المفرمة الجبارة طرف سرواله ...

كل ما سمعه الخفير بعدها هو صرخة قوية للغاية :

ـ لاااااااا

ثم سمع صوتًا بشعًا ، لعظام تنطحن ، وجسد يفرى وينسحق ..

ولكنه وصل إلى الذراع ...

وأوقف الآلة ...

وهتف :

ـ أوقفتها يا خالد بك .

لم يسمع ردًا من (خالد) ، وإنما صوت سعال ، أعقبه صوت (مجدى) بك ، الذى لا يزور المصنع إلا لمامًا ، وهو يغمغم :

ـ ماذا حدث ؟!... أين أنا ؟!

ولم ينبس الخفير بحرف واحد ...

Looloo
www.dvd4arab.com

هذا لأنه كان يحدّق فى أكوام من القطع الصغيرة ، تخرج من آلة الفرم العملاقة ...

قطع صغيرة من اللحم ...

والعظام ...

والثياب ...

ولم يفهم الخفير علاقة هذا بصناعة اللحوم ...

لم يفهم أبدًا .

* * *

6 ـ من أول نظـرة ..

ظلام دامس ، يحيط بكل شىء ...

ظلام يختلف عن أى ظلام عشته من قبل ...

فيما مضى ، كنت أتساءل : كيف يشعر المكفوفون ؟!

كنت أغلق عينىَّ فى قوة ؛ حتى أشعر بشعورهم ...

ولكننى ، ومهما أغلقت عينىَّ ، كنـت أرى دومًا لمحـة من الضوء ...

أو على الأقل ، كنت أميز الضوء والظلام ...

فمهما أغلقت جفنى ، كان الضوء يخترقهما ؛ فأشعر بالضوء والظلام ...

ولكن كل ما أراه الآن هو الظلام بلا ضوء ...

ظلام ...

ظلام ...

ظلام ...

Looloo
www.dvd4arab.com

فقط ظلام ...

« كيف تشعر اليوم ؟!.... » ...

اخترق صوت الطبيب ما يحيط بى من ظلام ، فوجدت نفسى أجيبه فى عصبية لم أقصدها :

ــ وما الفارق ؟!... كله ظلام فى ظلام .

قرأت فى صوته ابتسامة ، وهو يقول :

ــ الحادث لم يكن بسيطًا ، ولقد قام الأطباء الجراحون بمعجزة ؛ لإعادة كل شىء إلى ما كان عليه .

سألته مبهوتًا :

ــ ماذا تعنى بإعادة كل شىء إلى ما كان عليه ؟!

أجاب فى حذر :

ــ الإصابة اخترقت الفص الأمامى للمخ .

اكتفى بالجواب ، واكتفيت به أنا أيضًا ؛ ربما لخشيتى من سماع ما هو أسوأ ، ولكنه تابع ، بعد وهلة من الصمت :

ــ عمومًا ... سنزيل الأربطة كلها اليوم ، ونأمل أن يعمل كل شىء على ما يرام .

اليوم ...

اليوم سيزيلون الأربطة ...

اليوم ينتهى الظلام الدامس ...

وأعود لتمييز الضوء ...

ورؤيته ...

أو أن هذا ما أتمناه وآمله ...

وفى لهفة ، رحت أعد الدقائق والثوانى ، حتى عاد الطبيب مع فريق الأطباء ، وبدءوا فى حل الأربطة .

ومع كل ثانية ، كانت ضربات قلبى تتصاعد ...

وتتصاعد ...

وتتصاعد ...

ثم كانت لمحة الضوء ...

Looloo
www.dvd4arab.com

أخيرًا ، لم يعد الظلام دامسًا ....

ومن فرط الفرحة ، صرخت ...

صرخة قوية ، أثلجت قلوب الأطبـاء ، قبـل حتى أن يرفعوا الرباط الأخير ...

إننى أرى ....

أرى فى قوة ووضوح ...

ويا للسعادة !...

لن أقضى حياتى كفيفًا ، كما كنت أخشى ...

« أترى جيدًا ؟!.... »

ألقى الطبيب سؤاله ، فهتفت :

ـ بمنتهى الوضوح .

راح يجرى بعض الاختبارات التقليدية ؛ ليتأكد من وضوح وعدم ازدواجية الرؤية ، ثم ربت على كتفى ، قائلاً بابتسامة عريضة :

ـ سنحل أربطة جرح الدماغ غـدًا ... حمدًا لله على سلامة الرؤية .

اكتفيت بابتسامة فرحة ، جعلتهم يبادلوننى الابتسام ، وهم ينهضـون منصرفين ، وتابعتهم ببصرى وهـم ينصرفون ، وأدهشنى ذلك الكسر الواضح فى زجاج باب الحجرة ، فتساءلت مشيرًا إليه :

ـ ألا ينبغى إصلاح هذا ؟!

التفت إلى فريق الأطباء فى دهشة ، ثم التفتوا إلى حيث أشير ، قبل أن يتساءل أحدهم :

ـ إصلاح ماذا ؟!

عدت أشير إلى الكسر الواضح فى الزجاج ، مجيبًا :

هذا الكسر .... فى الركن العلوى الأيسر من زجاج الباب .

تبادلوا نظرة دهشة ، والتفتوا إلىَّ فى قلق واضح ، وأحدهم يسألنى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل تراه فى وضوح ؟!

أجبته فى دهشة :

ـ بكل وضوح ... ألا ترونه ؟!

التفوا حول بعضهم البعض ، وراحوا يتهامسون بعض الوقت ، قبل أن يقول رئيس الفريق :

ـ أعتقد أننا نحتاج إلى إعادة فحص عينيك ... سنجرى فحصاً شاملاً صباح الغد ..

لم أدر ما الذى أثار دهشتهم وتعجبهم إلى هذا الحد ، خاصة وأن الكسر يبدو شديد الوضوح ، إلا أننى لم ألبث أن طرحت كل هذا خلف ظهرى ، بعد مغادرتهم الحجرة ، واسترخيت على الفراش ، وسرعان ما رحتُ فى سبات عميق ...

وبخلاف الليالى السابقة ، كانت أحلامى كلها جميلة ...

مضيئة ...

مشرقة ...

و ...

انتفضت مـن نومى هلعًا ، على صوت تحطم زجاج مفاجئ ، فنهضت بحركة حـادة ، ورأيت عاملة النظافة ترتجـف ، وهى تهتف مذعورة :

ـ أنا آسـفة ... ذراع أداة التنظيـف ارتطمت بالزجـاج ، و... و ...

أدهشنى ارتباكهـا وذعرهـا ، وأدهشنى أكثـر اعتذارها ، فالزجاج الذى تتحدث عنه مكسور بالفعل منذ أمس ...

وفى نفس الموضع ...

ولكننى سمعت صوت الكسر فى وضوح ...

ومنذ لحظات فحسب ...

فكيف ؟!..

كيف ؟!...

ظل التساؤل حائرًا فى رأسى ، حتى وصل فريق الأطباء ، لإعادة فحص بصرى ، و ...

وكم كانت دهشة الفريق واضحة جلية ...

Loolo
www.dvd4arab.com

الكل لم يفحصوا بصرى ، وإنما انهمكوا فى فحص الزجاج المكسور ...

ثم انهالت علىَّ أسئلتهم ، ودهشة وجوههم تفيض على ألسنتهم ...

أهذا نفس الكسر ، الذى رأيته أمس ؟!...

بنفس التكوين ؟!...

وفى نفس الموضع ؟!...

وهل كنت أراه فى وضوح ؟!..

ثم ماذا أرى الآن ؟!...

عند هذا السؤال بالتحديد ، توقفت لحظات عن الإجابة ...

كنت أدير بصرى فى وجوههم وأجسادهم ، قبل أن أجيب فى حذر :

ــ أراكم .

سألنى كبيرهم :

ــ وعلى أية هيئة ترانا ؟!

أجبت ، فى مزيج من الدهشة والحذر :

ــ هيئتكم المعتادة .

تبادلوا نظرات صامتة ، ثم نهض كبيرهم ، قائلاً :

ــ كل ما نطلبه منك الآن ، هو أن تخبرنا بأى شىء تراه .

غمغمت :

ــ أمر بسيط .

دلفت الممرضة إلى الحجرة فى هذه اللحظة ، وهى تقول :

ــ المريض فى الحجرة تسعة وستين يرفض تناول الدواء .

استدارت عينىَّ إليها فى دهشة ، من الواضح أنها قد بَدَتْ واضحة على ملامحى ؛ إذ سألنى كبير الأطباء فى لهفة واهتمام :

ــ ماذا ترى ؟!

أجبته فيما يشبه الهمس :

ــ دماء .

سأل فى لهفة أكبر :

ــ أين ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أشرت إلى الممرضة بطرف خفى ، مجيبًا بنفس الهمس :

ـ معطفها كله ملوث بالدم ، عند منطقة الصدر .

استدار ينظر إلى معطف الممرضة ، قبل أن يهمس :

ـ وتراه فى وضوح ؟!

أومأت برأسى إيجابًا ، فابتسم وهو يعتدل ، قائلاً :

ـ ساعات وسأوقن من أنك ظاهرة خارقة ...

لم أستوعب معنى ما قال تمامًا ، خاصة وأن الدماء ، على معطف الممرضة ، كانت واضحة تمامًا ...

وأكثر مما ينبغى ...

قضيت ما تبقى من اليوم أفكر ، فيما يقصده الطبيب بمصطلح ظاهرة خارقة هذا ....

وكالمعتاد أرهق التفكير ذهنى ، فاستسلمت للنوم ، و....

وفجأة ، انطلقت تلك الصرخة ...

صرخة فزع مدوية ، ارتجت لها ممرات المستشفى ، وسادت بعدها حالة من الهرج والمرج ، مع صرخات متقطعة ...

وسرعان ما بلغنى الخبر ...

تلك الممرضة لقيت مصرعها ...

أحدهم طعنها بمشرط جراحى ، فى قلبها مباشرة ...

وعندما عثروا عليها ، كانت الدماء تغرق صدر معطفها ...

على نفس الكيفية التى رأيتها عليها أمس ...

وبينما انقلبت الأمور فى المستشفى بعنف ، ما بين تحقيقات واستجوابات ، زارنى كبير فريق الأطباء منفردًا ، وقال ـ وعلى شفتيه ابتسامة كبيرة ـ :

ـ الآن ثبت عمليًا أنك ظاهرة خارقة .

تَطلَّعْتُ إلى يديه لحظات ، قبل أن أسأله فى توتر :

ـ بمعنى ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

ـ تلك الإصابة المزدوجة ، فى فص مخك الأمامى ، والعصب البصرى فى آن واحد ، أنتجت أمرًا خارقًا للمألوف ... لقد صار نظرك يسبق الزمن .

Looloo
www.dvd4arab.com

مرة أخرى نظرت إلى يديه ، ثم حدَّقت فى وجهه مندهشًا ، فتابع :

ــ على الرغم من التقدم الطبى والجراحى الكبير ، مازال الفص الأمامى للمخ يمثل لغزًا ، لكل الدارسين والباحثين ، وإصابته لديك استحثت شيئًا ما فيه ... شىء جعلك ترى الزجاج المكسور ، قبل ساعات من كسره ، وإصابة الممرضة ، قبل ساعات من مقتلها .

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ــ والسؤال هو : ماذا يمكن أن نكتشف بعد هذا ؟!

حدَّقت فى يديه مرة أخرى ، قبل أن أغمغم مرتجفًا :

ــ دماء .

أدهشتنى ابتسامته ، وهو يسألنى :

ــ أين هذه المرة ؟!

غمغمت بصوت أكثر ، ارتجافًا :

ــ على يديك .

بدلاً من أن يدهشه هذا ، وجدته يبتسم ، ويرفع مرآة صغيرة أمام وجهى ، وهو يتساءل :

ــ وأين أيضًا ؟!

انتفض جسدى كله فى عنف ، وأنا أحدِّق فى صورتى فى المرآة ...

وبالتحديد فى الدماء الغزيرة على عنقى ...

وبكل الرعب ، حدقت فى وجه كبير الأطباء ، الذى قال فى هدوء عجيب :

ــ إن عاجلاً أو آجلاً ، كنت ستكشف ، بتلك النظرة الخارقة ، أننى من قتل الممرضة ... ولكن ما تراه الآن يثبت أنك لن تجد الوقت لهذا ... لقد رأيت المستقبل .

وارتفعت يده الممسكة بالمشرط الجراحى ، مضيفًا :

ــ مستقبلك .

وكان آخر ما رأيته ، هو يده الممسكة بالمشرط الجراحى ، وهى تهوى على عنقى ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان الألم قويًا ...

وسريعًا ...

و ...

عاد الظلام ...

الدامس .

* * *

(تمت بحمد الله)

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الأول

رتفعت أبواق سيارات الشرطة ، وهى تندفع من كل الاتجاهات ، نحو ذلك المبنى الكبير ، الذى يتوسط ساحة واسعة ، فى قلب (القاهرة) ، حيث اشتعلت النيران فى طابقه العلوى ، الخامس والستين ، إثر انفجار قـوى ، رج ذلك الجزء من العاصمة المصرية ، قبل هذا بعشر دقائق فحسب ...

وما أن توقفـت سيارات الشرطة ، حول ذلك المبنى ؛ لتنضم إلى سيارات الإطفاء ، التى يحاول رجالها إيجاد وسيلة مناسبة ؛ لبلوغ ذلك الطابق المرتفع ، حتى خـرج من إحداها المفتش (رياض) ، الذى بـدا غاضبًا ، وهـو يقـول لمساعده الرائد (على) :

ــ لقد فعلها مرة ثانية .

تطلع (على) إلى سـماء المنطقـة ، بحثًا عـن طائرات الهليوكوبتر ، التابعة لإدارة الإطفاء ، وهو يقول فى توتر :

ــ لست أدرى كيف يسبقنا بخطوة فى كل مرة !... إنه يتحدانا على نحو سافر .

بدا (رياض) عصبيًا ، وهو يقول :

ــ إنه أكثر مكرًا وخبثًا من كل توقعاتنا ... لقد وضع أمامنا كل الأدلة ، التى تشير إلى أن ضربته التالية ستكون فى مبنى البث التليفزيونى ، وبعـد أن قمنا بكل احتياطاتنا هناك ، ضرب ضربته هنا .

غمغم (على) بنفس توتره :

ــ ولكن لماذا ؟!... هذا المبنى يحوى مجموعة مكاتب لشركات خاصة ، و ...

قاطعه (رياض) ، فى حزم عصبى :

ــ غير صحيح .

التفت إليه (على) فى دهشة ، فتابع بنفس الحزم العصبى :

ــ ذلك الطابق الذى فجره ، يحوى مكاتب تابعة للأمن الجنائى العام .

Looloo
www.dvd4arab.com

هتف (على) بكل دهشته :

ــ ولكن ...

قاطعه (رياض) مرة أخرى ، فى عصبية أكثر :

ــ ليس من المفترض أن يعرف أحد هذا ... حتى رجال الأمن العاديين .. ولست أدرى فى الواقع كيف توصل هو إلى هذا ؟!..

هزَّ (على) رأسه ، مواصلاً دهشته ، ثم غمغم فى توتر شديد :

ــ مازال السؤال هو : لماذا ؟!.. حتى ولو توصل إلى هذا ، فلماذا يسعى إلى تفجير المكان ؟!... ما الذى يبتغيه من هذا ؟!

وصلت طائرات هليوكوبتر الإطفاء فى هذه اللحظة ، وتعالى هديرها ، وهى تصب مسحوق إطفاء الحريق على الطابق العلوى المشتعل ، مما اضطر (رياض) إلى أن يرفـع صـوته ، وهو يجيب هاتفًا :

ــ هنا تتجمع كل الملفات الرقمية ، لإدارة الأمن الجنائى العام ، ومن الواضح أنه يسعى إلى محو كل الملفات وتدميرها ؛ حتى يختفى ملفه بينها ، فنفقد كل ما لدينا عنه .

كان يكمل هتافه ، عندما اندفع نحوه أحد رجال الأمن ، قائلاً فى انفعال :

ــ سيادة المفتش ... لا بد أن ترى هذا .

وضع أمام عينيه لوحًا رقميًّا ، ينقل ما تلتقطه آلات المراقبة ، من داخل المبنى ، الخالى تمامًا من العاملين ، فى يوم الإجازة ، ثم مس إحـدى الشاشات الفرعية ، فتعاظمت صورتها ؛ لتملأ اللوح كله دفعة واحدة ...

وانعقد حاجبا (رياض) فى شدة ...

فاللوح الرقمى ، كان ينقـل صورة لرجل وسيم الملامح ، ممشوق القوام ، يرتدى زيًّا لامعًا ، من مادة مضادة للنيران ، ويتحرك فى خفة ، داخل الطابق المشتعل ...

وقبل أن ينبس (رياض) ببنت شفة ، على الرغم من أن شفتيه قد انفرجتا بالفعل ، هتف الرائد (على) فى انفعال :

ــ إنه هو .

Looloo
www.dvd4arab.com

انتفض جسد المفتش (رياض) ، على الرغم منه ، وهتف بكل رجاله :

ــ الجانى مازال داخل المبنى ... حاصروا المكان ... لا تتركوا له ثغرة واحدة للفرار .

غمغم (على) بنفس الانفعال :

ــ أخيرًا ... وقع فى أيدينا .

انعقد حاجبا (رياض) مرة أخرى ، وهو يقول فى صرامة عصبية :

ليس بعد .

هتف (على) معترضًا :

ــ ولكننا ...

عاد (رياض) يقاطعه ، وكأنه أمر اعتاده :

ــ لقد حاصرناه مرتين من قبل .

وتزايدت عصبيته ، وهو يضيف :

ــ وأفلت .

هتف (على) مرة أخرى :

ــ كيف يمكن أن يفلت من مكان كهذا ؟!...

صاح به (رياض) ، وهو يعمـل على توزيع رجـاله حول المبنى :

ــ سيجد وسيلة .

ثم التفت إلى مساعده ، وبدا مشتعلاً بالعصبية والغضب ، وهو يضيف :

ــ إنه ثعلب .

هزَّ (على) رأسه غير مقتنع ، وهو يعاود النظر إلى اللوح الرقمى ، مغمغمًا :

ــ أية وسيلة ؟!... إنه محاصر من كل الاتجاهات ، والمبنى تحيط به ساحة واسعة خالية ، و ...

بتر عبارته فجـأة ، وهـو يحدِّق فى شاشة اللوح الرقمى ، هاتفًا بكل دهشته :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ رباه !!... ماذا يفعل ؟!

اندفع (رياض) عائدًا إليه ، وألقى نظرة على اللوح ، الذى بدا على شاشته ذلك الرجل ، وهو يندفع مخترقًا المكتب ، الذى خبت فيه النيران بعض الشىء ، وهتف وهو يرفع عينيه إلى أعلى فى ذعر :

ــ الهليوكوبتر .

فى نفس اللحظة التى نطقها ، اخترق ذلك الرجل زجاج نافذة ، من نوافذ الطابق الخامس والستين ، وسبح فى الهواء لحظة ، قبل أن يتعلق بواحدة من طائرات هليوكوبتر الإطفاء ، ثم يطوح جسده المرن فى رشاقة مدهشة ، ليثب داخل كابينة قيادتها فى خفة مذهلة ...

وعض المفتش (رياض) شفته السفلى فى غضب هادر ....

لم يكن يستطيع ، من موقعه هذا ، أن يرصد ما يحدث ، داخل كابينة الهليوكوبتر ، إلا أنه كان يعرف قدرات خصمه جيدًا ، مما جعله يرسم فى خياله صورة لما يحدث هناك ...

الرجل سيهاجم قائد الهليوكوبتر ، ورجل الإطفاء المصاحب له ، وسرعان ما يفقدهما الوعى ، بلكماته القوية الشهيرة ، ويسيطر على الهليوكوبتر ، و ...

ويبتعد ..

وهذا ما كان ...

وبينما يراقب الهليوكوبتر تنطلق هتف (على) فى انفعال شديد :

ــ مستحيل !!... إنه يقودهما فى مهـارة شديدة ... كيف لمجرم عادى ، أن يجيد هذا ... أين تلقى تدريباته هذه .

لم يشـعر (ريـاض) بأنه قـد أدمى شـفته السفلى ، مـن شدة عضه لها ، وهـو يجيب ، فى مزيج مـن الغضب والقهر والعصبية :

ــ فى المخابرات العمومية المصرية .

التفت إليه (على) غير مصدق ، وهو يهتف :

ــ فى ماذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أشار (رياض) بسبابته إلى الهليوكوبتر ، التى تكاد تختفى فى الأفق ، وهو يجيب فى مقت ، ودماء شفته السفلى تسيل على ذقنه :

ــ هذا الذى نصفه بأنه أخطر مجرمى القرن ، كان ذات يوم رجل المخابرات العمومية رقم واحد ... لقد كانوا يلقبونه بلقب (قاهر المستحيل) .

سقطت فك (على) السفلى ، من فرط ذهوله ، وارتفعت عيناه تراقبان الهليوكوبتر ، وهى تبتعد ...

وتبتعد ..

حتى اختفت فى الأفق ...

تمامًا ...

* * *

« (أكرم) ... » ..

كان (أكرم صدقى) ، رجل المخابرات المصرية ، قد انتهى من جولته اليومية ، فى الركض حول المبنى الذى يقيم فيه ، عندما فوجئ بزميله (حسـام) ينتظره ، عنـد مدخل المبنى ،

وملامحه تحمل ابتسامة كبيـرة ، فابتسم بدوره ، وهو يجفف عرقه ، هاتفًا فى ترحاب :

ــ (حسام) ... كيف حالك يا صديقى ... مضت فترة طويلة ، منذ التقينا لأول مرة .

اتسعت ابتسامة (حسام) ، وهو يقول :

ــ أتريد أن تقول : إنك قد اشتقت إلىَّ ؟!

ربت (أكرم) على كتفه ، وهو يقول فى مرح :

ــ ألديك شك فى هذا ؟!

جذبه من ذراعه فى رفق ؛ ليصطحبه إلى حيث يقيم ، و(حسام) يقول :

ــ هل تريد جوابًا صريحًا ؟!

ضحك (أكرم) ، قائلاً :

ــ بل أفضل جوابًا مجاملاً .

ضحك (حسام) بدوره ، وهو يشير بيده ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هذا يتوقف على سرعة إعـداد كوب من الشـاى الأخضر الجيد .

أشار له (أكرم) بيده ، هاتفًا :

ـ ابدأ فى إعـداده إذن ، حتى أنتهى مـن حمامى ، ثم أنضم إليك ؛ لنتناوله سويًا فى الشرفة .

لم تمض دقائق خمس ، حتى جمعتهما الشرفة معًا ، فى جلسة ودية هادئة ، بدأ (حسام) الحديث فيها ، قائلاً :

ـ ألم تشعر بالاشتياق للعودة إلى العمل بعد ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه نفيًا ، وارتشـف رشفات من الشاى فى استمتاع ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـ ليس بعد ... العملية الأخيرة فى (موسكو) كانت مرهقة للغاية ، وسيادة الوزير مَنَحَنى بعدها إجازة استجمام لمدة شهر ، أنوى الاستمتاع بكل ساعة منه .

ثم اعتدل ، يسأله فى اهتمام :

ـ ولا تقل لى إن هناك عملية جديدة .

هزَّ (حسام) كتفيه ، مجيبًا :

ـ أنت تعلم مثلى ، أن عملياتنا لا تتوقف لحظة واحدة .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ ولكننى أخبرتك أنها زيارة ودية تمامًا .

عاد (أكرم) يتراجع فى مقعده ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ وهذا يسعدنى .

سأله (حسام) فى اهتمام :

ـ ولكنك تقضى إجازتك فى منزلك ، فلماذا لا تسافر إلى مكان آخر ، يمكنك أن تحصل فيه على متعة أكثر .

ضحك (أكرم) ، قائلاً :

ـ قد يدهشك أن تعلم إننى أشتاق إلى منزلى كثيرًا ؛ فعملى يضطرنى إلى الابتعاد عنه معظم الوقت ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين جرس الباب ، فالتفت إليه الاثنان فى دهشة ، وتساءل (حسام) فى حذر :

ـ هل تنتظر أحدًا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (أكرم) فى حزم ، وهو ينهض من مقعده :

ــ كلا .

التقط مسدسه ، من بين كومة من الصحف ، ودسه فى حزامه من الخلف ، وهو يتجه نحو الباب ، وفتحه فى حركة سريعة ، ثم التقى حاجباه ، وهو يتطلع إلى الرجل الذى تراجع فى ارتباك ، مع فتح الباب بهذه السرعة ، ثم تنحنح ، وتطلع إلى وجه (أكرم) فى عصبية ، قبل أن يتساءل فى توتر :

ــ السيد (أكرم صدقى) ... أليس كذلك ؟!

أدار (أكرم) يده خلف ظهره ، وأمسك مقبض مسدسه فى تحفز ، وهو يسأله :

ــ من أتشرف بمواجهته ؟!

تنحنح الرجل مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

ــ المفتش (رياض سالم) ، من الأمن الجنائى العام المصرى .

ظهر (حسام) من خلف (أكرم) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ليس لدينا ما يعرف باسم الأمن الجنائى العام فى (مصر) .

مرة ثالثة ، تنحنح المفتش (رياض) فى توتر ، مجيبًا :

ــ ربما ليس هنا ، ولكنه جهاز قوى معروف ، فى العالم الذى أتيت منه .

تراجع (حسام) فى دهشة بالغة ، وتساءل (أكرم) فى حذر ، وهو يقبض على مقبض مسدسه ، فى قوة أكبر :

ــ العالم ماذا ؟!..

أجابه (رياض) ، وتوتره يتزايد :

ــ العالم يا سيد (أكرم) ... العالم الذى أتيت منه ، والذى يلجأ إليك كأمل أخيـر ؛ لاصطياد هدف ، رأى خبراؤنا أنه لن يظفر به سواك.

التقى حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتساءل :

ــ أى هدف هذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ازدرد المفتش (رياض) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب ، فى صوت متحشرج :

ـ أنت .

وكانت مفاجأة ..

هائلة .

* * *

الفصل الثانى

قبل المضى فى الأحداث ، لابد لنا من العودة إلى الوراء قليلاً ؛ حتى تستقيم الأمور ...

وبالتحديد إلى تلك اللحظة ، التى مثل فيها المفتش (رياض) ، أمام رئيسه المباشر ، بعد نجاح من أطلقوا عليه اسم (مجرم القرن) فى الفرار من ذلك المبنى الشاهق ، عقب تفجيره مكتب معلومات الأمن الجنائى العام ...

« اسمه (أكرم صدقى) .... »...

قالها المفتش (رياض) فى توتر واضح ، وهو يشير بيده ، قبل أن يتابع فى حنق ملحوظ :

ـ كان رجل مخابرات عمومية سابق ، قبل أن ينحرف به المسار ، إلى ذلك الاتجاه الإجرامى ... وكما كان رجل مخابرات فـذ ، لا يشَق له غبار ، تحـول أيضًا إلى مجرم فـذ ، لا سبيل لمواجهته .

قال رئيسه ـ فى صرامة ـ :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لست أؤمن إطلاقاً بكلمة (لا سبيل) هذه ... إنه ، ومهما بلغت قدراته ، مجرد رجل واحد ، فى مواجهة دولة ، بكل نظمها وأجهزتها الأمنية .

هزَّ (رياض) رأسه ، قائلاً فى توتر :

ـ لهذا كانوا يطلقون عليه لقب (قاهر المستحيل) ؛ فهى ليست أول مرة يواجه فيها أنظمة أمنية كاملة ، وينتصر عليها كلها ... رفاقه مازالوا يذكرون كيف هـزم وحـده مخابرات الولايات المتحدة السوفيتية ، ولا انتصاراته المذهلة ، على نظم أمن الاتحاد الأمريكى ... حتى عندما واجه منظمة (مافيوزا) ، كان بالنسبة إليهم شوكة كبيرة ، لم ينجحوا قط فى انتزاعها.

بدا رئيسه غاضبًا ، وهو يقول :

ـ وكأنى بك تحدثنى عن واحد من أبطال الروايات الخيالية ، أو من خارقى الروايات المصورة !!... أفق يا رجل ... إنه رجل واحد ... مجرد رجل واحد .

زفر المفتش (رياض) فى توتر ، قائلاً :

ـ رجـل عجزت كل أجهزتنا عـن الظفر به ، لأكثر من شهر كامل .

صاح رئيسه فى حدة :

ـ لدينا قصور كبير إذن ... قصور ينبغى أن نبحث عنه ، ونكشفه ، ونسعى لمعالجته ، وإلا فكيف سنواجه الشعب ، ونحن عاجزون عن مواجهة رجل واحد ؟!

هزَّ (رياض) كتفيه ، دون أن يجيب ، فتراجع رئيسه فى مقعده ، وسأله بكل صرامة :

ـ هل تريد ان تقـول : إنك عاجز عـن معالجة هذا الأمر ، وعلينا أن نسند المهمة إلى آخر ؟!

بدا وكأن السؤال قد أصاب مفتش الشرطة بطعنة نجلاء فى كرامته ، فشد قامته ، قائلاً فى صرامة مماثلة ، بغض النظر عن فارق الرتب :

ـ دعنى أذكِّرك يا سيدى ، بأننى قد توليت هذه القضية ، بعد فشل ثلاثة من الزملاء فى الإيقاع به ، وأننى الوحيد الذى نجح فى كشف هويته .

Looloo
www.dvd4arab.com

لوّح رئيسه بذراعيه ، صائحًا :

ــ وما الذى أسفر عنه هذا حتى الآن ؟!

انعقد حاجبا (رياض) فى ضيق ، وشد قامته أكثر ، وهو يقول :

ــ هل لى أن أقترح أمرًا خارجًا عن المألوف يا سيدى ؟!

هتف رئيسه فى حدة :

ــ لن يضيرنا هذا ... افعل .

أجابه (رياض) على الفور :

ــ وفقًا لما قرأته ، فى ملف ذلك الرجل ، قبل أن يمحوه تمامًا من قاعدة المعلومات ، لن تنجح الوسائل التقليدية فى التعامل معه ، أو الإيقاع به أبدًا .

قال المدير فى عصبية :

ــ لم أسمع اقتراحك بعد .

واصل (رياض) ، وكأن المدير لم يقاطعه :

ــ إننا نحتاج إلى وسيلة غيـر تقليدية ... وسيلة تتجاوز كل الأمور المألوفة .

ثم مال نحو رئيسه ، مضيفًا بكل الحزم :

ــ وسيلة تتجاوز حتى حدود العقل .

تطلع إليه رئيسه بضع لحظات فى دهشة مستنكرة ، وكأنه يتطلع إلى مجنون ، قبل أن يغمغم بكل حيرته :

ــ هل يبدو لك أننا فى فيلم من أفلام الخيال العلمى ؟!

هزّ (رياض) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال فى حزم :

ــ بل نحن فى عالم الواقع يا سيدى ، ولكن فى زمننا هذا ، تطور العلم إلى درجة فاقت كل خيال.

صمت رئيسه بضع لحظات فى دهشة ، ثم مال نحوه ، يسأله فى شىء من العصبية :

ــ وما الذى يمكن أن يفعله العلم ، الذى فاق كل خيال ، فى حالتنا هذه ؟!

أجابه (رياض) ، فى سرعة واقتضاب :

ــ الكثير .

Looloo
www.dvd4arab.com

تراجع رئيسه ، متطلعًا إليه فى دهشـــة ، باعتبار أن الكلمة التى نطقها ، لا تحمل أى جواب ، فعاد (رياض) يشد قامته ، وهو يتابع :

ــ سيادتك تعلم أن شقيقى الاكبـــر (راضى) ، هـــو أحـــد أشهر علماء الفيزياء ، فى هذا القرن ، وأنه حاصل على جائزة (زويل) ، عن أبحاثه حول الأكوان المتوازية ، والتى أثبتت من خلالها أنه هناك عوالم موازية لنا ، تحيا معنا ، فى نفس الزمان والمساحة ، ولكننا لا نشعر بها ، ولا تشعر بنا(*) .

غمغم رئيسه ، بنفس العصبية :

ــ أذكر أننى قد قرأت شيئًا عن هذا ، ولكننى عجزت عن استيعابه .

أشار (رياض) بيده ، قائلاً ، فى شىء من الحماس :

ــ النظرية باختصار تقول : إن عالمنا واحد من عدة عوالم أخرى ، فى كل منها يحيا نفس البشر ، أى أنك ستجد هناك شبيهًا لك ، وشبيهًا لى .. ولكن (رياض) الآخر قد لا يكون مفتشًا للأمن هناك ، بل قد يكون مجرمًا ، وأنت قد ...

(*) نظرية علمية حقيقية ، أثبتتها الأبحاث التجريبية .

قاطعه رئيسه فى عصبية :

ــ فليكن ... أذكر هذا ... ولكن السؤال مازال كما هو : كيف يمكن أن يفيدنا ؟!...

شد (رياض) قامته أكثر ، وهو يجيب بكل الحزم :

ــ الأفضل ألا تسمع هذا منى يا سيدى .

ثم عاد يميل نحو رئيسه ، مردفًا فى قوة :

ــ بل من صاحب النظرية والاقتراح الأصلى ... من شقيقى (راضى) ... شخصيًا .

وتضاعفت دهشة رئيسه ...

ألف مرة ...

* * *

« لا يفل الحديد إلا الحديد .... » ...

نطق (راضى) العبارة فى هدوء حازم ، وهو يقف داخل معمله الفيزيائى الكبير ، فهزّ رئيس المفتش (رياض) رأسه فى عصبية ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل رباكما والدكما ـ رحمـه الله ـ على ترديد عبارات وحكم قديمة ـ فحسب .

مطَّ (رياض) شفتيه ، دون أن يجيب ، فى حين هزَّ (راضى) رأسه نفيًا ، دون أن يتخلَّى عن هدوئه ، وهو يقول :

ـ ما أريد قوله هـو : إن خصمكم من طـراز خاص جدًّا ، ويمتلك كومة مـن المهارات والقدرات ، تجعـل الإيقاع به ، بالوسائل النمطية ، أمراً أشبه بالمستحيل ... ليس فقط بسبب قدراته ، ولكن بسبب عبقريته وسعة حيلته ، فى وضع الخطط غير المعتادة ، والإفلات من كل مأزق أو حصار ، بوسائل ثعلبية غير متوقعة .

بدا رئيس (رياض) نافذ الصبر ، وهو يقول :

ـ ما الذى تريد قوله بالضبط ؟!

قادهما (راضى) إلى شاشة كبيرة ، قائلاً :

ـ شاهد هذا أولاً .

ضغط زرًا صغيرًا فى الشاشة ، فظهرت عليها صورة (أكرم صدقى) ، وهو يثب من طائرة بدون مظلة ، خلف رجل يرتدى

مظلة نجاة ، ثم يشتبك معه وهما يهويان من حالق ، بسرعة الجاذبية الأرضية(*) ، قبل أن يفقده الوعى ، ثم يفتح مظلته ، وهو يتشبث به فى قوة ، ليهبطا معًا بالمظلة إلى حقل أخضر واسع ...

وبكل انفعاله ، هتف رئيس (رياض) :

ـ إنه مجرم القرن ... كيف حصلت على هذا الفيلم ؟!

ابتسم (راضى) ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ إنه ليس من تتصوره .

هتف الرئيس فى انفعال :

ـ إنه هو ... (أكرم صدقى) ... كل رجل أمن هنا يحفظ ملامحه عن ظهر قلب .

تبادل (راضى) نظرة صامتة مع شقيقه الأصغر ، قبل أن يقول ، فى زهو لم يستطع كبحه :

(*) سرعة الجاذبية الأرضية : هى الطاقة التى تجذب بها الكرة الارضية كل من عليها ، وينص قانون الجاذبية على أن جميع الأجسام تجذب بعضها البعض تجاذبًا تباديًا ، أما سرعة السقوط بسبب الجاذبية الأرضية ، فهى (32) قدمًا فى الثانية الواحدة أى (9,7536) مترًا فى الثانية .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إنه (أكرم صدقى) بالفعل ، ولكن ليس هذا الذى تعرفه .

ثم مال عليه ، مضيفًا بابتسامة :

ـ هذا (أكرم صدقى) آخر ، كل ما يربطه بالذى تعرفه ، هو الاسم والملامح فحسب ... وربما البصمة الجينية أيضًا .

حدَّق الرئيس فى وجهه لحظات فى استنكار ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ ولكنه رجل آخر ؟!... أى عبث هذا ؟!

أجابه (راضى) فى سرعة ، وبابتسامة أكبر :

ـ عبثٌ علميٌ مائة فى المائة يا رجل ... ما تراه هو حدث سجلته ، عبر جهاز خاص ، من عالم آخر ...

ثم مال نحوه بشدة ، مضيفًا :

ـ عالم مواز .

حدَّق فيه رئيس (رياض) بمنتهى الدهشة ، وعجز لسانه عن النطق ، و(راضى) يعتدل ، متابعًا فى اهتمام ، وهو يشير إلى الشاشة :

ـ فى ذلك العالم ، مازال (أكرم صدقى) يعمل فى جهاز المخابرات ، ولكنهم يطلقون عليه هناك اسم (المخابرات العامة) ، وليس العمومية ، كما نطلق عليها هنا ... بل هو يعد من أفضل رجالهم هناك ... ولقد تابعت بعض عملياته ، على شاشة جهازى هذا ، ولست أبالغ لو قلت : إنه شخصية فذة ، لم أر مثيلاً لها فى حياتى كلها من قبل ، ولا حتى على شاشات السينما .

انتزع رئيس (رياض) نفسه من ذهوله ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لم أستوعب فكرتك بعد .

شدَّ (رياض) قامته مرة أخرى ، وتنحنح فى توتر ، فى حين أشار (راضى) إلى شاشة جهازه ، وهو يجيب :

ـ وفقًا لكل ما أخبرنى وأطلعنى عليه شقيقى الأصغر .. الشخص الوحيد ، الذى يمكنه مواجهة (أكرم صدقى) ، مجرم القرن عندنا ، هو الشخص الذى يمتلك نفس مهاراته وقدراته ، والوحيد الذى يمكنه فهم أساليب تفكيره ، بنسبة مائة فى المائة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

لا يمكن اقتناص (أكرم صدقى) إلا بوساطة قرينه ، فى العالم الآخر .

قالها ، فران على معمله الكبير صمت عميق ، استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، قبل أن يقطعه رئيس (رياض) فى عصبية :

ـ هل تتوقع الحصول على جائزة (زويل) مرة أخرى ، بهذه النظرية الخرقاء ؟!

ارتفـع حاجبا (راضى) فى دهشة ، وحملت ملامحه كل الاستنكار ، الذى انتقل إلى صوته ، وهو يهتف :

ـ خرقاء ؟!

صاح رئيس (رياض) فى حدة :

ـ لا يمكن أن توصف إلا بأنها كذلك ... إثبات وجود تلك العوالم المتتالية شىء ، والمزج بينها شىء آخر .

هتف (راضى) معترضًا :

ـ متوازية وليست متتالية .

لوّح رئيس (رياض) بذراعه كلها ، صائحًا :

ـ أيًا كانـت ... إنها مجـرد نظـرية ، وربما شاشة تنقـل إلينـا أحـداثًا تدور فى أحـد تلك العـوالم فحسـب ، ولكن الحديث عـن التعـاون بين العالمين ، هـو أمر أقـرب إلى الخرافات .

بدا (راضى) محتدًا ، وهو يصيح فيه بدوره :

ـ كل ما كانوا يعتبرونه مجرد خرافات فى الماضى ، صار اليوم حقيقـة علمية معروفة ... السفر عبـر الزمن ... رداء الإخفاء ... تصغير البشر ، و ...

قاطعه رئيس (رياض) فى حدة :

ـ وماذا ؟!.. السفر عبر الأبعاد لم يصبح بعد حقيقة ، حتى ..

بتر عبارته ، مع يد (رياض) التى أمسكت بكتفه ، فاستدار إليه بحركة حادة ، فتنحنح (رياض) وكأن هذا يلازمه دومًا ، وقال فى توتر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الواقع يا سيدى أنه قد صار كذلك بالفعل .

واتسعت عينا رئيسه عن آخرها بدهشة ...

بكل الدهشة .

* * *

الفصل الثالث

اتسعت عينا (حسام) ، بكل الدهشة ، فى نفس الوقت الذى انعقد فيه حاجبا (أكرم صدقى) ، وهو يحدّق فى وجه المفتّش (رياض) ، الذى تنحنح كعادته ، وهو يقول :

ـ أنتما لا تصدقان ما أقوله ... اليس كذلك ؟!

لم يحاول (حسام) التعليق ، فى حين قال (أكرم) فى حذر :

ـ هل كنت لتصدقه ، لو تبادلنا الأدوار ؟!

هزّ (رياض) رأسه فى بطء ، مجيبًا فى خفوت :

ـ مستحيل !

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكنه حقيقة .

مال (أكرم) نحوه ، يقول فى حزم :

ـ حقيقة تحتاج إلى برهان قوى .

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت (رياض) ، بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ــ لك كل الحق .

ثم أخرج شيئًا من جيبه ، وهو يضيف :

ــ ولقد توقع شقيقى (راضى) هـذا ؛ لذا فقـد سمح لى بإحضار شىء من عالمى إلى عالمكم .

وضع لوحًا صغيرًا شفافًا ، أمام (أكرم) و(حسام) ، مع استطراداته :

ــ فوفقًا لمشاهداته ، عالمنا يتفوق على عالمكم تكنولوجيًا ، بخمس سنوات من التطور ، ومع سرعة إيقاع التطور التكنولوجى ، سيصنع هذا فارقًا تكنولوجيًا ملحوظًا .

تطلَّع (حسام) و(أكرم) إلى ذلك اللوح فى حذر ، و(حسام) يتساءل :

ــ وماذا يفعل هذا الشىء بالضبط ؟!

التقط (أكرم) ذلك اللوح ، مع إجابة (رياض) :

ــ اختبره بنفسك .

رفع (أكرم) ذلك اللوح الشفاف أمام عينيه ، ثم تراجع فى دهشة ...

فاللوح ، مع شفافيته ، كـان ينبغى أن ينقـل إليـه صورة ما خلفه ...

إلا أن هذا لم يحدث !!

لقد نقل إليه صورة مختلفة تمامًا ...

صورة منزل آخر ...

منزل يختلف ...

يختلف فى تقسيمه ...

وأثاثه ...

وحتى ديكوراته ..

وبكل دهشته ، خفض (أكرم) اللوح من أمام عينيه ، فعاد منزله للظهور فى وضـوح ، و(رياض) يقـول ، فى تؤدة لم يستطع إخفاءه :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ما تراه عبر هذا اللوح ، هو عالمى وليس عالمك ؛ فهو بوسيلة ما ، لا أســتطيع حتى فهمها أو استيعابها ، يختــرق الحاجز بين عالمينا ، مما يجعله أشبه بنافذة بين عالمين .

مال (حسام) يلتقط اللوح من (أكرم) ، وهو يقول :

ــ ومن أدرانا أنها ليست خدعة تكنولوجية ؟!

هزَّ (رياض) كتفيه ، مغمغمًا فى توتر :

ــ لست أدرى فى الواقع كيف يمكننى إثبات هذا ، فأنا رجل أمن فى عالمى ، وقع الاختيــار علىَّ ، للعبــور إلى عالمكم ، وتقديم العرض للسيد (أكرم صدقى) ، وكنت أعلم مسبقًا إننى سأواجه بكل هذه الشكوك ؛ لأننى فى عالمى رجل أمن محترف ، ولو جاء أحدهم ، ليخبرنى بأنه من عالم آخر ، لأحطته بقيد من الشك والاستنكار أيضًا .

رفع (أكرم) اللوح إلى عينيه مرة أخرى ، ودار به فيما حوله فى اهتمام ، قبل أن يخفضه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ من حسن حظكم أن إجازتى لم تنته بعد .

هتف (حسام) مستنكرًا :

ــ هل يعنى هذا أنك تنوى قبول العرض ؟!

هزَّ (أكرم) كتفيه ، وأجاب بنفس الهدوء :

ــ ولِمَ لا ؟!... إنها تجربة جديدة ، أجد فى نفسى شغفًا للقيام بها .

حدَّق فيه (حسام) مستنكرًا ، فى حين بدا (رياض) شديد الترقُّب ، والأول يقول :

ــ ولكنك تعرف القواعد جيِّدًا ... لا يمكنك التعاون مع أية جهات أخرى ، دون الحصول على موافقة الجهاز.

أجابه (أكرم) بكل هدوء :

ــ أعرف القواعد جيدًا يا عزيزى (حسام).

ثم التفت إليه بابتسامة عجيبة ، مضيفًا :

ــ ولكن لا توجد قاعدة تتعلق بالتعاون مع عالم آخر .

www.dvd4arab.com

تراجع (حســام) بنفس الدهشة المستنكرة ، فى حين تابع (أكرم) ، وابتسامته تتسع :

ــ وتذكّر أنك أنت من أقنعتنى بقضاء إجازتى فى مكان ما .

انعقد حاجبا (حسام) ، وهو يقول فى عصبية :

ــ هذا لو أنك ستطلق على هذا اسم إجازة .

أما (رياض) ، فهتف فى لهفة :

ــ أيعنى هذا أنك توافق على قبول عرضنا ؟!

هزَّ (أكرم) كتفيه ، وهو يجيب :

ــ ليس فى كل مرة ، يجد المرء نفسه فى مواجهة نفسه .

غمغم (حسام) فى توتر ، وهو يشيح بوجهه :

ــ سأتظاهر بأننى لم أسمع هذا .

حاول (رياض) أن يبتسم ، إلا أن شيئًا فى أعماقه جعله يقول فى تردد :

ــ فى هــذه الحالة ، هنــاك ما ينبغى أن أخبــرك به يا سيد (أكرم) .

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول :

ــ أما زال هناك المزيد ؟!

أومأ (رياض) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول بنفس التردد :

ــ فى مواجهتــك مع ... (أكرم صدقى) عالمنا ، لا بد أن تعلم إنه من الضرورى أن يتم حسم المواجهة خلال ثلاثة أيام فحسب .

التقى حاجبا (أكرم) ، فى حين التفت إليهما (حسام) مرة أخرى ، متسائلاً فى توتر :

ــ ولماذا ثلاثة أيام بالتحديد ؟!

هزَّ (رياض) كتفيه ، وبدا تردده أكثر وضوحًا ، وهو يقول :

ــ الواقع أن تقنية الانتقال بين العالمين ، لم تصل بعد إلى مرحلة الكمال .

Looloo
www.dvd4arab.com

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ــ وهذا يعنى ؟!

تردد لنصف دقيقة على الأقل ، قبل أن يجيب :

ــ لو بقيت فى عالمنا ، أكثر من هذه المدة ، ستضيع الفرصة فى ...

بتر عبارته فى ارتباك ، فسأله (حسام) بكل القلق :

ــ ستضيع الفرصة فى ماذا ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وتنحنح مرتين ، قبل أن يجيب :

ــ فى أن يعود السيد (أكرم) إلى هنا .

وتنحنح مرة أخرى ، قبل أن يتابع فى صوت منخفض :

ــ وسيكون عليه أن يبقى فى عالمنا ... إلى الأبد .

ألقى قنبلة ، فران على المكان صمت رهيب مهيب ...

فتلك المعلومة الأخيرة ، كادت تقلب كل الأمور رأسًا على عقب ...

وبمنتهى العنف ...

* * *

ارتفعت يد ضابط الأمن ، فى مدينة البحوث العلمية بتحية عسكرية قوية ، وهو يواجه الرجل الواقف أمامه فى احترام ، قائلاً :

ــ مرحبًا بك فى مدينة البحوث يا سيادة اللواء ... تقبّل اعتذارى مقدمًا ، ولكن لم تردنى أية معلومات بشأن زيارتك لنا اليوم .

شدَّ اللواء قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أنا الذى أصدر تلك المعلومات والتعليمات أيها الضابط ، وها أنذا أقف أمامك بشحمى ولحمى ، فماذا تريد أكثر من هذا ؟!

ارتبك الضابط ، وهو يقول :

ــ ولكن جرت العادة يا سيادة اللواء على أن ...

قاطعه اللواء بكل صرامة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أفسح الطريق .

تنحَّى الضابط جانبًا ، وهو يغمغم :

ـ هل يمكنك على الأقل أن توقِّع فى دفتر الزائرين يا سيادة اللواء ؟!

قال اللواء فى استنكار :

ـ دفتر الزائرين ؟!

ثم استدرك ، مع امتقاع وجه الضابط :

ـ ولكن لا بأس على أية حال ... لن أكون أنا من يخرق تعليمات الأمن .

وانعقد حاجباه الكثيفان فى صرامة ، وهو يضيف :

ـ التى وضعتها بنفسى.

ناوله الضابط دفتر الزائرين بيد مرتجفة ، وهو يغمغم :

ـ رجال الأمن هم أول من ينبغى أن يلتزموا بقواعد وتعليمات الأمن ... هكذا تعلمنا يا سيادة اللواء .

التقط اللواء قلمًا إليكترونيًا رفيعًا ، ووقع باسمه فى دفتر الزائرين ، ثم عبر بوابة مدينة البحوث فى تعالٍ ، والضابط يؤدى له التحية العسكرية مرة أخرى ، ولكنه ما أن ابتعد ، حتى التقط الضابط هاتفه ، وطلب رقمًا مختصرًا ، قبل أن يقول فى خفوت ، وكأنه يخشى أن يسمع اللواء :

ـ سيادة اللواء (فتحى جابر) وصل إلى المدينة ، دون أية معلومات مسبقة ، وأظنه تفتيشًا أمنيًّا مفاجئًا .

فاجأه صوت غاضب صارم :

ـ أى قول أحمق هذا يا رجل ؟!... أنا اللواء (فتحى جابر) ، ولم أغادر مكتبى منذ الصباح .. من هذا الذى انتحل شخصيتى ، ونجح فى خداع حَمْقَى مثلكم ؟!

وكاد الهاتف يسقط من يد ضابط الأمن المصعوق ...

فالشخص الوحيد ، الذى يمكنـــه انتحال هيئة آخر ، بحيث يعجز الآخر نفسه عن كشفه ، هو الرجل الذى تبحث عنه كل جهات الأمن ، فى هذا العالم الموازى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

(أكرم صدقى) ...

مجرم القرن ...

الوحيد ...

* * *

« هكذا يكون التحدى ... » ...

قالها (أكرم صدقى) ، فى هدوء عجيب ، قاطعًا حالة الصمت الرهيب ، التى خيمت على المكان ، فارتفع حاجبا (حسام) ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ــ هـل ستقبل هـذه المهمة العجيبة ، بعـد ما قـاله هـذا الـ ... الرجل ؟!

التفت إليه (أكرم) ، قائلاً :

ــ اهدأ قليلاً يا صديقى ، ودعنا نعيد دراسة الموقف كله ، على نحو مختلف ... إننا أمام موقف ، لم يمر به بشرىٌ من

عالمنا من قبل ... أو أن هـذا ما أعتقده على الأقل ... موقف يستعين فيه عالم بشخص من عالم آخر ، ليواجه نفسه بنفسه.

قال (حسام) فى حدة :

ــ تتعامل مع الأمر كما لو كان لعبة مسلية .

هزَّ (أكرم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ ليس لعبة بالتأكيد ، ولكنـه حالة عجيبـة ، لم يخطر ببالى أن أواجهها ، حتى فى أبشع كوابيسى .. ولكنه تَحدٌ من نوع جديد .. تَحدٌ أن أواجه شخصًا ، يتمتع بكل ما أحمله مـن صـفات ، وما اكتسبته من مران وخبـرات ، طوال سنوات وسنوات من الصراع ، مع أجهـزة مخابرات ، ومنظمات جاسوسية وإرهابية ، وحتى إجرامية .. ومن الناحية المنطقية ، فهذا أكثر خطورة بكثير ، وخاصة عندما يكون الزمن محدودًا إلى هذا الحد ... ولكننى ، ولسـبب ما فى أعماقى ، لست أرغب فى قبول التحدى وخوض التجربة فحسب ، ولكننى شديد الشغف أيضًا ؛ لمعرفة الأسـباب الحقيقيـة ، التى دفعت شخصى فى

Looloo
www.dvd4arab.com

عالمهم ، إلى نبذ كل ما نذر حياته من أجله ؛ لينتقل من مجال حماية الوطن وأمنه ، إلى مجال الجريمة ، وتقويض أركان المجتمع ... أريد أن أعرف ... وأن أفهم ... فلو أنه تربى كما تربيت ، ونشأ كما نشأت ، فسيكون من المستحيل أن ينقلب لمائة وثمانين درجة على هـذا النحـو ، إلا لو كانت لديه دوافع شديدة القوة .

وصمت لحظات ، عاد خلالها ذلك الصمت المهيب يسيطر على المكان ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ أريد أن أعـرف يا (حسـام) ... صدّقنى ... أريـد أن أعرف .

تطلّع إليه (حسام) فى صمت لبضع لحظات أخرى ، ثم تراجع مغمغمًا :

ـ هذا حقك .

شعر (رياض) بالارتياح ، وهو يتساءل :

ـ إذن فأنت تقبل .

مدَّ (أكرم) يده إليه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ فقط عندما تخبرنى ، كيف ومتى سننتقل إلى عالمك ؟!

اندفعت يد (رياض) نحو يده ، وهو يقول فى لهفة :

ـ الآن ...

وتصافح الرجلان ...

أو تصافح العالمان ...

وبقوة ...

فاعتبارًا مـن تلك اللحظـة ، سيبدأ (أكـرم صدقى) أغرب مهامه ...

وأخطرها ..

على الإطلاق .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الرابع

ارتفعت صفارات الإنذار عالية ، فى مدينة البحوث العلمية ، وانتشر رجال الأمن فى كل مكان منها ، وفقًا لخطة طوارئ ، تدربوا عليها طويلاً ، فى نفس الوقت الذى انطلق فيه اللواء (فتحى جابر) الحقيقى بسيارته ، فى طريقه إلى المكان ، وهو يهتف بضابط أمن المدينة ، فى توتر صارم شديد :

ــ أشعلوا كل نظم الأمن ، وأغلقوا كل منافذ المبنى الرئيسى ، ولا تنسَ تفعيل جدار النار الفائق ؛ لحماية كل المعلومات ، التى تحويها أجهزة الكمبيوتر ، فى المدينة كلها .

أجابه ضابط أمــن المبنى ، وهو يشير لفريق من رجاله ، بالالتفاف حول المبنى الرئيسى :

ــ قمت بتفعيل كل هذا بالفعل يا سيادة اللواء ، ولدينا فريقان من الحرس الخاص ، داخــل المبنى الرئيسى ، يقومان بتفتيش كل ركن منه .

هتف به اللواء (فتحى) فى صرامة :

ــ سأصل إليك خلال ثمانى دقائق على الأكثر ، وهليوكوبترات الأمن ستصل خلال دقيقة واحدة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى غضب ، امتزج بصرامته :

ــ لقد أخطأ مجرم القرن بوضع نفسه فى هذا الفخ المحكم ... سنوقع به هذه المرة ، بفضل غطرسته وغروره.

لم يشعر الضابط بنفس الثقة ، وهو يغمغم :

ــ بالتأكيد يا سيادة اللواء ... بالتأكيد .

قالها ، منهيًا الاتصال ، ثم تطلع إلى المبنى الرئيسى ، مستطردًا بعد زفرة حارة :

ــ لو أنه منحنا الفرصة لهذا .

فى نفس اللحظــة التى نطقها ، كــان رجاله داخل المبنى قد انقسموا إلى عدة فرق صغيرة ، اتجهت كل فرقة منها إلى أحد

Looloo
www.dvd4arab.com

أجزاء المبنى ، مسلحة بأحدث المدافع الآلية ، والسترات والخوذات المضادة للرصاص ، وأجهزة البحث والرصد الحرارى ، بحثًا عن (أكرم صدقى) عالمهم ...

وفى عنـف مدروس ، اقتحمت إحـدى الفرق معمل الدكتور (راضى) ، كجزء من المبنى ، وعلى الرغم من أن المعمل بدا خاليًا من البشر فى وضوح ، إلا أن الفرقة ، المكونة من خمسة رجال ، انتشرت فى المكان ، تفحص كل ركن ، يمكن الاختفاء فيه ، وبمنتهى الدقة ، حتى أعلن كل منهم خلو المكان ، فتوقف قائد الفرقة الصغيرة ، وقال عبر جهاز اتصاله الخاص ، وبلهجة عسكرية تقليدية :

ـ المعمل (ف) خالٍ ونظيف .

أتاه صوت ضابط أمن المدينة ، يقول فى حزم :

ـ اعمل على إغلاقه بالحواجز الأمنيـة ؛ لضمان عدم اللجوء إليه فيما بعد ، وقم بتشغيل نظام رصد دائم هناك ؛ حتى يمكننا مراقبته من خارج المبنى .

أجاب قائد الفرقة الصغيرة ، بنفس اللهجة العسكرية :

ـ عُلم وينفَّذ .

أنهى الاتصال ، وهو يرفع عينيه إلى رجاله الأربعة ، قائلاً فى صرامة :

ـ سننفذ خطة إغلاق هذا المعمل .

« ليس بعد .... » ...

أتاه الصوت فى لهجة ساخرة من أعلى ، فرفع عينيه وسلاحه إلى سقف المعمل ، حيث ممرات التهوية المركزية ، و ...

وانقض (أكرم صدقى) ...

وبمنتهى العنف ...

* * *

دوَّامة ألوان عجيبة ، أحاطت بكل شىء ...

Looloo
www.dvd4arab.com

دوّامة تدور فى سرعة كبيرة ، تدور معها أعتى الرءوس ...

ومع ذلك الطنين ، الذى كاد يخترق خلايا المخ ، بدا الأمر شاقًا ومؤلمًا ، إلى حد كبير ...

« أغلق عينيك .... » ..

قالها المفتش (رياض) ، وهو يغلق عينيه فى قوة ، قبل أن يضيف ، فى ألم ملحوظ :

ــ هذا يجعل الأمر أقل عنفًا ...

أغلق (أكرم) عينيه فى قوة أيضًا ، إلا أن ذلك الدوّار ، الذى أصابه ، منذ بدأت رحلته مع (رياض) عبر الأبعاد ، ظل يلازمه ، مع ذلك الشعور العجيب بأنه يهوى من حالق ، فى بطء متواصل ...

ثم دوّت فرقعة عجيبة ...

ومع دويّها ، سقط جسده أرضًا فجأة ، ففتح عينيه ، مغمغمًا :

ــ يا له من هبوط سيّئ !

أدهشه أن وجد نفسه مع (رياض) ، على سطح مبنى ، تطل عليه نجوم السماء من أعلى ، فاعتدل ممسكًا برأسه فى شىء من الإرهاق ، وقال وهو يقاوم آثار ذلك الطنين المؤلم :

ــ كنت أتصور أننا سنصل إلى معمل علمى ، أو قاعدة عسكرية مثلاً .

أمسك (رياض) رأسه ، على نحو مماثل ، وهو يغمغم :

ــ لا تسلنى عن التفاصيل العلمية ، ولكن شقيقى أكد ضرورة الهبوط فى مكان مفتوح ؛ حتى لا تنحصر الطاقة فى مكان محدود .

استجمع (أكرم) قوته ، ونهض واقفًا ، وأدار عينيه فيما حوله ، وهو يقول :

ــ إذن فهذه قاهرة عالمك .

أومأ (رياض) برأسه ، على الرغم من أن (أكرم) يوليه ظهره ، وقال وهو ينهض بدوره :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ إنها تشـبه قاهرتك إلى حـد كبيـر ، ولكن مع بعض الاختلافات بالطبع .

كانت عينا (أكرم) قد توقفتا عند نقطة بعينها ، وهو يغمغم :

ــ أرى اختلافًا واضحًا .

استدار (رياض) إلى حيث يشير ، وابتسم ابتسامة تمتزج بآلام رأسه ، وهو يقول :

ــ آه ... برج الثورة.

انعقد حاجبا (أكرم) وهو يقول :

ــ نطلق عليه فى عالمى اسم برج (القاهرة) .

أومأ (رياض) برأسه مرة أخرى ، مغمغمًا :

ــ أعلم هذا .

ثم اعتدل متضيفًا :

ــ لقد بدأ لدينا كما بدأ لديكم ، ولكننا قمنا بتطويره منذ خمسة أعوام ، وارتفع لثلاثين مترًا أخرى ، وأضيفت إليه ثلاثة مطاعم

مختلفة دوّارة ، وقاعة للأفراح والاحتفالات ، وتمت تغطية الإضافة بالخلايا الشمسية ، التى تضيئه ذاتيًا ليلاً كما ترى .

هزّ (أكرم) رأسه ، وابتسم قائلاً :

ــ ربما أطرح هذه الفكرة ، عندما أعود إلى عالمى .

لم يكد يتم عبـارته ، حتى ارتفع رنين هاتف (رياض) المحمول ، فالتقطه فى سرعة ، وهو يقول فى حماس :

ــ لقد أتيت به يا سيدى .

أتاه صوت رئيسه ، وهو يهاف :

ــ فى الوقت المناسب يا (رياض) ، فنحن الآن فى مواجهة عنيفة مع نظيره ، مجرم القرن .

انعقد حاجبا (رياض) فى شدة ، وهو يستمع إلى التفاصيل ، ثم رفع عينيه إلى (أكرم) مع إنهاء المحادثة ، وهو يقول فى توتر :

ــ يبدو أن المواجهة ستبدأ ... الآن .

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى الرغـم من اعتيـاده المواجهات ، مهما كان عنفها ، شعر (أكرم) فى أعماقه بشعور عجيب ، مع بدء مواجهته مع نفسه ...

شعور لا يمكنه أن يصفه ...

أبدًا ...

* * *

استفادة مـن المواجهـة السـابقة ، راحـت هليوكوبترات الأمن تحوم حول مدينة البحـوث العلميـة ، دون الاقتراب منها ، إلى درجة تسمح لأى كائن بالقفز إليها ، مهما بلغت قوته أو جرأته ...

وعبر أجهزتها المتطورة ، راحت ترصد كل جزء ظاهر من المدينة ، يمكن أن يختبئ عنده أى كائن حى فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارة اللواء (فتحى جابر) ، والذى قفز منها ، قبل حتى أن تتوقف بالكامل ، وهو يهتف بضابط الأمن :

ــ هل توصلتم إليه ؟!

أجابه ضابط الأمن فى توتر :

ــ ليس بعد ... الرجال منتشرون فى المبنى ، ولكنهم لم يجدوا له أدنى أثر ، على الرغم من تفتيش وإغلاق معظم معامله .

سأله اللواء فى توتر :

ــ وهل وضعوها كلها قيد المراقبة المستمرة ؟!

أومأ الضابط برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ كلها تحت المراقبة يا سيادة اللواء.

انعقد حاجبا اللواء مفكرًا ، وهو يتساءل :

ــ ألا يمكن أن يكون قد غادره ، قبل تفعيل إجراءات الأمن ؟!

هزَّ الضابط رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ــ مستحيل يا سيادة اللواء ... لقد قمنا بتفعيل إجراءات الأمن ، بعد أقل من دقيقة واحدة ، من دخوله المبنى .

Looloo
www.dvd4arab.com

صاح فيه اللواء فى غضب :

ــ لم يكن ينبغى أن تسمح له بالدخول ، مادامت ليست هناك تعليمات مسبقة بهذا .

ارتبك الضابط فى شدة ، وهو يقول :

ــ لقد ... لقد كان أنت يا سيادة اللواء .

صاح فيه اللواء ، فى غضب أكثر :

ــ التعليمات هى التعليمات أيها الضابط .

بدا الضابط شديد التوتر والارتباك ، وهو يغمغم :

ــ أنت على حق يا سيادة اللواء .

شدّ اللواء (فتحى) قامته ، وانعقد حاجباه فى صمت ، بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ إذن فهو بالداخل حتمًا ، حتى ولو لم يعثر عليه رجالك !

غمغم الضابط :

ــ هذا ما يبدو يا سيادة اللواء .

أومأ اللواء (فتحى) برأسه إيجابًا مرتين ، قبل أن يستعيد صرامته ، قائلاً :

ــ فى هذه الحالة ، سننتقل إلى خطة الطوارئ القصوى رقم واحد .

اعتدل الضابط بدوره ، وقال فى صوت مبحوح ، من فرط الإثارة :

ــ الغاز ؟!

أجابه اللواء بنفس الصرامة :

ــ نعم ... سنخلى المبنى من رجالنا ، ونغلق كل منافذه ، ثم نطلق فيه اسطوانات الغاز المخدّر ليوم كامل .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة أكثر :

ــ لن يمكنه أن ينجو من هذا أبدًا .

غمغم الضابط فى تردد :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أتعشم هذا يا سيادة اللواء .

رماه اللواء بنظرة غاضبة ، فاستدرك فى سرعة :

ــ أعنى أن هذا أكيد يا سيادة اللواء .

بدا اللواء شديد الغضب ، وهو يواصل رميــه بتلك النظرة الغاضبة ، ثم شدَّ قامته أكثر ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ــ مر بإخلاء المبنى .

أصدر الضــابط أوامره لكل الفــرق ، داخل المبنى الرئيسى ، بإخــلاء المبنى على الفــور ، فى حيــن غمغــم اللــواء فى صرامة :

ــ سيقع مجرم القرن فى أيدينا هذه المرة ... حتمًا .

وفى هذه المرة ، صمت الضابط تمامًا دون تعليق ...

ففى أعماقه ، مازال الشك يتصاعد فى سرعة ...

وفى قوة ...

شديدة ...

* * *

« أهذا جزء من إجراءات الأمن ، المتبعة هنا .... » ...

ألقى (أكرم صدقى) الســؤال على (رياض) ، وهما داخل واحدة من هليوكوبترات الأمــن ، تنقلهما إلى مدينــة البحوث العلمية ، فأومأ هذا الأخير برأسه إيجابًا ، وقال فى انفعال :

ــ ليس إجراءً عاديًا ، ولكنــه يستخدم فقــط فى محاولات الطوارئ القصوى .

التقى حاجبا (أكرم) فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فجأة :

ــ اطلب منهم عدم إخلاء المبنى من رجالهم .

التفت إليه (رياض) فى دهشة ، وهو يغمغم مستنكرًا :

ــ وكيــف أطلب منهم هــذا ؟!... إنه إجــراء أمنى رسمى ، و ...

قاطعه (أكرم) فى حزم :

ــ ولهذا ينبغى ألا يتبعــوه .... دعهم يطلقون الغــاز على الجميع .

Looloo
www.dvd4arab.com

اتسعت عينا (رياض) ، وهو يهتف :

ــ على رجالنا أيضًا ؟!

أجابه (أكرم) ، قبل حتى أن يكمل عبارته المستنكرة :

ــ هذا هو المقصود .

فغرَ (رياض) فاه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يحدق فيه ذاهلاً ، فصاح به (أكرم) :

ــ كل ثانية تمضى ، ستصنع فارقًا كبيرًا ... هيا ... اطلب منهم هذا فورًا .

ومرة أخرى لم يفهم (رياض) ...

أبدًا .

* * *

الفصل الخامس

« تم إخلاء المبنى تمامًا يا سيادة اللواء ... » ...

نطق ضابط أمن مدينة الأبحاث العلمية العبارة ، فى لهجة عسكرية تقليدية ، وهو يؤدى التحية للواء (فتحى) ، الذى شد قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أطلقوا اسطوانات الغاز .

رفع ضابط الأمن جهــاز الاتصال ، إلى شفتيه ؛ ليلقى أوامر إطلاق الغاز ، ولكن هاتفه المحمول انطلق فى هذه اللحظة ، فانعقد حاجباه ، وهو يلقى نظرة على شاشته ، مغمغمًا فى توتر :

ــ إنه المفتش (رياض) ... المسئول عن عملية مجرم القرن .

أجابه اللواء (فتحى) فى صرامة :

ــ لقد وصل متأخرًا ... أطلق اسطوانات الغاز أولاً ، ثم أجب اتصاله .

غمغم الضابط فى تردد :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ولكن ربما ...

قاطعه اللواء بصيحة هادرة :

ــ أطلق الغاز .

أسرع الضابط يصدر أوامره إلى رجاله بإطلاق اسطوانات الغاز ، داخل المبنى الرئيسى ، ثم ضغط زر الاتصال فى هاتفه ، وهو يقول فى توتر :

ــ سيادة المفتش .

هتف به (رياض) عبر الهاتف :

ــ أوقفوا عملية إخلاء المبنى فورًا .

بلغ صوته المرتفع مسامع اللواء (فتحى) ، فانعقد حاجباه فى شدة ، فى حين ارتفع حاجبا الضابط فى دهشة ، وهو يقول فى اضطراب :

ــ ولكن الإخلاء قد تم بالفعل يا سيادة المفتش .

فوجئ بالمفتش (رياض) يصرخ فيه :

ــ أيها التعس ... لقد أفسدت كل شىء !

لم يدر الضابط ماذا يقول ، وهو يدير عينيه فى ارتياع إلى اللواء (فتحى) الذى انعقد حاجباه أكثر ، وهو يتمتم فى صوت خافت ، يموج بالانزعاج :

ــ أى قول هذا ؟!

تغير صوت (رياض) ، عندما اختطف (أكرم) جهاز الاتصال من يده ، هاتفًا :

ــ هل انفصل أحد رجالك عن الفريق ، دون مبرر واضح ؟!

أدار الضابط عينيه فيما حوله ، وهو يغمغم فى توتر :

ــ كيف علمت هذا ؟!... أحدهم انفصل بالفعل ، متجهًا نحو واحدة من السيارات المدرَّعة ، التَّابعة لـ ...

قاطعه (أكرم) فى سرعة وحزم :

ــ لا تدعه يصل إليها ... مُرْ رجالك بإيقافه فورًا .

لم يستوعب الضابط أو اللواء الأمر ، وعندما انتزعا نفسيهما من دهشتهما ، كان ذلك الذى انفصل على بعد خطوة واحدة من السيارة المدرَّعة ، فأشار إليه اللواء ، هاتفًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أوقفوا هذا الرجل .

لم يستوعب رجاله أيضًا هذا الأمر ، الذى يطالبهم بإيقاف أحد زملائهم ...

وأضاعوا ثانية ...

ثانية واحدة فقط ...

وبالنسـبة إلى أى شخص عادى ، تعتبر الثانية زمنًا قصيرًا للغاية ...

ولكن ما فعله فيها ذلك الرجل ، الذى انفصل عن الباقين ، جعلها تبدو أشبه بدهر كامل !!...

لقد استوعب الموقف قبل الباقين ، فوثب فى خفة مذهلة ، يفتح باب السيارة المدرَّعة ، ويلكم سائقها ، ثم يدفعه خارجها ، وهو يدير محركها فى الوقت نفسه ...

وعندما تحرك الرجال ، بعد استيعاب الموقف ، كان هو ينطلق بالسيارة المدرَّعة ، بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها ...

وعلى القور ، انطلقت الرصاصات خلفه كالمطر ، وارتطمت كلها بدروع السيارة ، وارتدَّت عنها فى عنف ، دون أن تنجح

فى إيقافها ، فى حين اندفعت هى تخترق الأسوار القوية المكهربة ، المحيطة بالمدينة ، وتنطلق مبتعدة عنها ...

وعبر جهاز اتصاله الخاص ، صرخ اللواء فى طائرات الهليوكوبتر ، المحيطة بالمكان :

ـ طاردوا هذه السيارة الهاربة ... أوقفوها بأى ثمن .

دارت طائرات الهليوكوبتر كلها ، واندفعت تطارد السيارة ، التى واصلت طريقها ، عبر المنطقة الخالية ، المحيطة بمدينة البحوث العلمية ، متجهة نحو منطقة سكنية تحت الإنشاء ، تبعد كيلو مترين فقط عن المكان ...

وعبر جهاز الاتصال ، تساءل أحد قائدى طائرات الهليوكوبتر :

ـ سيادة اللواء ... هل نكتفى بمطاردتها ، أم ...

قاطعه اللواء ، فى توتر صارم :

ـ قلت أوقفوها بأى ثمن ... أطلقوا عليها النار ... انسفوها لو اقتضى الأمر ، ولكن لا تسمحوا لها ، أو لقائدها بالفرار أبدًا.

مع هـذا الأمر ، وعلى الرغم من ثقـة الطيـارين ، بأن رصاصات مدافعهم لن تكفى لنسف سيارة مدرعة ، من هذا

Looloo www.dvd4arab.com

الطـراز الحديث شـديد التصفيح ، إلا لو تواصلت على نحـو متصل ، راحوا يمطرون السيارة برصاصاتهم ، وهى تواصل انطلاقها ، فى مسار شديد التعـرج ، يشف عـن براعة قائدها وحنكته وجرأته ، على الرغم مـن الرصاصات ، التى ترتطم بجسمها فى قوة ، حتى بلغت تلك المبـانى الجديدة ، التى لم يكتمل إنشاؤها بعد ...

ولأن قائد طائرات الهليوكوبتر الأمنيـة ، كـان يدرك صعوبة مواصلة المطاردة ؛ إذا ما بلغت السيارة المدرَّعة تلك المبانى ، فقد هتف عبر جهاز الاتصال :

ـ سيادة اللواء ... أطلب الإذن بقصف السيارة بالصواريخ.

صاح به اللواء (فتحى) :

ـ وهل تنتظر الإذن بهذا ؟!... قلت : أوقفوها بأى ثمن .

حمل صوت قائد الهليوكوبتر كل توتره ، وهو يقول :

ـ لابد من أمر مباشر يا سيادة اللواء ، فالقانون يمنع استخدام الصواريخ داخل المدن ، و ...

قاطعه اللواء بصيحة هادرة :

ـ اقصفها يا رجـل ، قبل أن تضيع الفرصة ... اقصفها ... هذا أمر .

كان قائد الهليوكوبتر متحفـزًا للقصـف بالفعـل ، كما أن الهليوكوبتر كانت على مشـارف تلك المدينـة الجديدة بالفعل ، لذا فما أن أتاه الأمر المباشر ، حتى ضـغط زر الإطلاق على الفور ...

وانطلق الصاروخ نحو السيارة المدرَّعة ...

وأصابها مباشرة ، و ...

ودوَّى الانفجار ...

وبمنتهى القوة ...

* * *

« لقد نسفوه !!.... » ...

تراجع (رياض) بحركة حـادة ، وهـو يهتـف بالعبـارة ، مع ذلـك الوهـج ، الذى بـدا واضحًا ، للهليوكـوبتر التى تحمله مـع (أكرم صدقى) ، الـذى انعقـد حاجبـاه ، وهو يغمغـم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ حقًا ؟!

كانت طائـرات الهليوكوبتر الأمنيـة تدور حول السيارة ، التى نسفها الصاروخ نسفًا ؛ للتيقـن مـن تمـام تدميرها ، وارتفع صـوت قائدها ، عبـر جهـاز الاتصال ، فى هليوكوبتر (رياض) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إلى قائد الهليوكوبتر القادمة ... عرِّف عن نفسك.

التقط (رياض) جهاز الاتصال فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ المفتش (رياض) .... من الأمن العام ... أبلغنى فورًا ماحدث .

أتاه صوت قائد طائرات الهليوكوبتر ، يجيب فى ارتياح :

ــ مرحبًا يا سيادة المفتش .... ننتظر قدومك بالفعل .... أظن أن مهمتك قد وضعت أوزارها يا سيدى ... لقد نسفنا مجرم القرن على التو .

انعقـد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وسرت فى جسده ، وربما لأول مرة فى حياته ، قشعريرة باردة ، لم يختبر مثلها من قبل قط ...

نسفوه !!...

نسفوا قرينه ، فى هذا العالم الموازى !!...

يا له مـن شـعور عجيب ، أن يسمع المـرء بنفسـه خبر مصرعه !!...

وبينما يتراجع فى مقعده مفكرًا ، سمع (رياض) يجيب قائد طائرات الهليوكوبتر فى توتر :

ــ تيقَّن أولاً ، قبل أن تجزم يا رجل .

بدت دهشـة قائد طائرات الهليوكوبتر الأمنية واضحة ، وهو يقول :

ــ ولكننى أطلقت الصاروخ نحو السيارة ، وهى تنطلق بالفعل يا سيادة المفتش ، ورأيته بنفسى ينسفها نسفًا .

صاح به (رياض) فى صرامة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ تيقن أولاً .

اعتدل (أكرم) يقبض على معصمه فجأة ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليس بعد .

التفت إليه (رياض) فى دهشة ، يسأله :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (أكرم) بنفس الحزم :

ـ مُر طائرات الهليوكوبتر بالتراجع فورًا .

فى هذه المرة ، اتسعت عينا (رياض) عن آخرهما ، وهو يحدِّق فيه بكل الدهشة ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ هل تعلم بمَ سيتهموننى ، لو أننى أمرت بهذا ؟!

حمل صوت (أكرم) كل صرامته ، وهو يقول :

ـ هـل تعـلم أنـت ، إن لم تنفـذ ما أطلبـه منـك ، فلـن تكون هنـاك جـدوى مـن تركى عالمى ، والحضور معك إلى عالمك ؟!

تطلع إليه (رياض) بضع لحظـات فى صمت ، ثم قال فى توتر :

ـ أفلت معصمى .

حلَّ (أكرم) أصابعه ، من حول معصم (رياض) ، الذى تنحنح فى توتر شديد ، ثم ضغط زر الاتصال ، وهو يقول فى توتر أكثر :

ـ ابتعدوا عن المكان فورًا .

هتف قائد طائرات الهليوكوبتر بكل دهشته :

ـ ماذا ؟!

أجابه (رياض) ، فى حدة صنعها توتره الشديد :

ـ هل سمعت ما أمرتك به ؟!

سـادت لحظة مـن الصمت ، قبل أن يجيب قائد طائرات الهليوكوبتر :

ـ كما تأمر يا سيادة المفتش .

Looloo
www.dvd4arab.com

شاهد اللـواء (فتحى) ، عبـر منظاره المقرب ، طائرات الهليوكوبتر تتراجع ، فهتف فى قائدها ، عبر جهاز الاتصال :

ـ ماذا تفعلون ؟!... ابقوا فى المكان ، حتى نصل إليكم .

أجابه القائد بكل توتره :

ـ سيادة المفتش (رياض) ، المسئول عن ملف مجرم القرن ، أمر بأن يتراجع الجميع ، عن منطقة الانفجار .

كـان اللـواء ينطلق بالفعـل ، على رأس فـريق رجـاله الخـاص ، نحـو منطقة المدينـة الجديدة ؛ للتيقن من مصرع مجرم القرن ، لذا فقد عقدت الدهشـة لسـانه لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ أمر بالتراجع ؟!... لماذا ؟!

لم يجد قائد طائرات الهليوكوبتر الأمنية ، سوى أن يقول بكل توتره :

ـ هو المسئول عن الملف كله ، يا سيادة اللواء .

فى نفس الوقـت ، الذى كـان اللواء يحاول فيـه استيعاب الموقف ، أشار (أكرم صدقى) إلى سطح أحـد مبانى المدينة الجديدة ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ـ انخفض نحو هذا السطح .

أطاعه قائد الهليوكوبتر على الفور ، بعد أن أدرك من محادثته مع المفتش (رياض) ، أنه من يقود المهمة ، فى حين تساءل (رياض) فى توتر :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟!

تطلَّع إليه (أكرم) لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب :

ـ سترى .

لم يُرضِ هذا الجواب (رياض) ، فهتف فى عصبية :

ـ المفترض أننى المسئول الأول عن هذا الملف .

أجابه (أكرم) فى صرامة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ قم بما ينبغى عليك فعله إذن .

تراجع (رياض) معقود الحاجبين فى غضب متوتر ، فى حين تساءل قائد الهليوكوبتر ، وهو يقترب من السطح :

ـ هل تريد منى أن أهبط هناك ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

ـ اقترب فحسب .

تســاءل (رياض) فى توتر ، عمَّا ينتوى (أكرم) فعله ، وعقد ساعديه فى عصبية ، وهو يتابع اقتراب الهليوكوبتر من ذلك السطح ، الذى أشار إليه (أكرم) ، والذى قال بكل الحزم :

ـ لا تتوقف لحظة واحدة ... واصل التحليق حول المكان بضع لحظات ، كما لو أنك تتفقـد موضع الانفجار فحسب ، ثم ابتعد كما فعل أقرانك .

اعتدل (رياض) ، يسأله فى عصبية :

ـ ثم ماذا ؟!

ولكنه لم يحظَ منه بجواب مباشر ...

هذا لأن (أكرم) قد ألقى أمره الأخير ، ثم وثب من الهليوكوبتر نحو السطح ...

مباشرة .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل السادس

فى خفة مدهشة ، تحرك مجرم القـرن فى ذلك العالم ، بين الطرقات غيـر الرصوفة ، والتى لم تكتمل بعـد ، لتلك المدينة الجديدة ؛ محاولاً الابتعـاد بقدر الإمكان ، عن الساحة الخالية ، التى تفصله عن مدينة البحوث العلمية ...

كـان ، بحكم عمله السـابق ، فى جهاز المخابرات العمومية فى عالمه ، يعلم جيدًا كيف تتعامل الجهات الأمنية ، فى موقف كهذا ...

صحيح أنه قـد وثب مـن تلك السـيارة المدرَّعة ، فور وصـوله إلى أطـراف المدينـة الجـديدة ، بحرفيـة تمنـع طائـرات الهليوكوبتر مـن كشف خروجـه منهـا ، وتركهـا تواصـل اندفاعها ، مدركًا أنهـم ، إن عاجلاً أو آجلاً ، سيلجأون إلى قصـف السـيارة بصواريخهم ؛ كوسيلة أخيـرة لمنعه من الفـرار ...

إلا أنهم حتمًا لن يتوقفوا عند هذا ...

فلابد ، وفقًا لأبسط قواعد الأمن ، أن يتيقنوا من مصرعه ، قبل إعلان هذا رسميًا ...

وهذا يعنى أنهم سيسرعون ، بكل قواتهم الأرضية ؛ لفحص المكان وتفتيشه ، أو لفحص بقايا السيارة المدرَّعة ، والتيقن من وجود جثته المحترقة داخلها ...

ولأنه يعلم كل هذا ، فقد وضع خطته منذ البداية ، مفترضًا كل الاحتمالات الممكنة ..

وكل ما عليه الآن ، هو أن يسبقهم فى الوصول إلى نهاية المدينة الجديدة ...

هناك تنتظره سيارته ، التى أخفاها فى مهارة وخبرة ، وتركها فى موضع ، يتيح له الانطلاق بها فى سرعة ، وبلوغ الطريق العمومية ، خلال دقيقتين فحسب ...

وهناك سيمتزج بالسيارات العابرة ، ويصير من العسير ، إن لم يكن من المستحيل ، أن يتم تمييزه ، أو العثور عليه ...

www.dvd4arab.com

ولكل هذا فقد تَحَرَّكَ فى سرعة ، عاونه عليها إدراكه لطريقه جيدًا ، بعد أن درس المنطقة كلها فى اليوم السابق ، ووضع خريطة تَحَرُّكه مسبقًا ...

وعلى الرغم من ثقته الشديدة فى كل ما خطط له ، فقد توقف فجأة ، وانعقد حاجباه فى شدة ...

طائرات الهليوكوبتر تتراجع !!...

فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!...

المفترض ، وفقًا لأبسط القواعد ، أن تواصل حَومها حول المكان كله ؛ حتى تتيقن من أن المكان نظيف تمامًا ...

ولكنها تتراجع !!...

وهذا ليس إجراءً طبيعيًا ...

أبدًا ..

وخبرته الطويلة ، فى عالم المخابرات العمومية ، تشير إلى أن أى تغير فى إجراءات الأمن ، يعنى وجود خطة غير تقليدية ...

انطلق عقله بسرعة الصاروخ ، يحاول استنتاج ماهية تلك الخطة الجديدة ..

تراجع طائرات الهليوكوبتر ، يعنى أن هناك خطة تستهدف الإيحاء بالثقة فى مصرعه ، حتى يفقد حذره الزائد ، ويتحرك فى ثقة ؛ ليقع فى فخ ما ، تم إعداده له بدقة ...

فما هى طبيعة هذا الفخ ؟!..

هل كشفوا سيارته ، على الرغم من براعته فى إخفائها ؟!...

هل يكمنون له هناك ؟!...

هل ؟!..

راح عقله يعمل فى كل الاتجاهات ، ويدرس كل الاحتمالات ، وكأنه أمام رقعة شطرنج كبيرة ، يواجه عليها بطل العالم فى اللعبة ، فى مراحلها الأخيرة ...

وعليه أن يستخدم كل براعته وخبراته وقدراته ، فى تحريك قطعة ، و ...

Looloo
www.dvd4arab.com

« لا توجد خطة بديلة ... » ...

ارتفع الصـوت مـن خلفه فجـأة ، وصدم أذنيه فى شدة ، فاستدار إلى مصدره فى سرعة مدهشة ، وارتفع مسدسه نحوه ..

ثم ، وعلى الرغم من اعتياده المفاجآت والصدمات ، ومن قدرته المدهشـة على استيعابها وتجاوزها ، فى سرعـة تفوق الوصف ، فقد تجمد فى موقفه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ...

فما رآه امامه كان مذهلاً ...

وبكل المقاييس ...

* * *

« مستحيل ... » ...

هتـف قـائد هليوكوبتـر المفتـش (ريـاض) بالكلمـة ، وكل لمحـة من لمحـات وجهـه تشف عن ذهـوله وانفعاله الشديد ...

وفى انفعال مماثل ، على الرغم من محـاولة إخفائه ، غمغم (رياض) :

ـ إنه ليس رجلاً عاديًا .

هتف قائد الهليوكوبتر :

ـ بالتأكيد ... لقـد وثب مـن الهليوكوبتر ، بلا ذرَّة واحـدة من التردد ، ودون أن تتوقف ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هبط على السقف فى رشاقة مذهلة ، وكأنه يملك جسد فهـد ، وقلب أسـد .

غمغم (رياض) ، محاولاً كتمان انفعاله :

ـ إنه كذلك .

صمت قائد الهليوكوبتر لحظة ، ثم تساءل فى حذر :

ـ ولكن كيف جعلتموه يشبه مجرم القرن ، إلى هذا الحد المذهل ؟!

انعقد حاجبا (رياض) ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ هذه معلومات سرية للغاية .

Looloo
www.dvd4arab.com

هزَّ قائد الهليوكوبتر رأسه ، وكأنما يعلن اكتفاءه بهذا ، إلا أنه عاد يسأل فى اهتمام :

ــ لا بد أن لديه خطة قوية ... أليس كذلك ؟!..

لم يكن (رياض) يدرى ما الـذى ينتـويه (أكرم صدقى) بالضبط ...

ولا كيف سيواجه بديله فى هذا العالم ...

أو كيف وماذا سيحدث بينهما ...

كل ما كان يثق به ، هـو أنها لن تكون مواجهة عادية ، بأى حال من الأحوال ...

ولأنه لا يدرى شيئًا ، فقد كرَّر فى عصبية مقتضبة :

ــ سرية للغاية .

وازداد انعقاد حاجبيه ...

كثيرًا ...

فى نفس اللحظة ، التى فعل فيها هذا ، كان اللواء (فتحى) ورجاله قد وصلوا إلى أطراف تلك المدينة الجديدة ، وكان هو يقول لرجاله فى صرامة ، عبر أجهزة الاتصال :

ــ حاصروا المكان كله ، وليبدأ الفريق (أ) ، والفريق (ب) ، فى تمشيط كل شبر منها ، دون إهمال شبر واحد .

بدأ رجاله عمليـة الانتشار على الفـور ، واندفـع الفريقان المشار إليهما ؛ لتمشيط المكان وفقًا للأوامر ، ووفقًا لما تدربوا عليه فى هذا الشأن ، إلا أن أحد قائدى الفرقتين تساءل :

ــ لو افترضنا أنه لم يلق مصرعـه بصاروخ الهليوكوبتر يا سيادة اللواء ، فماذا ينبغى أن نفعل ، إذا ما عثرنا عليه ؟!... هل نلقى القبض عليه ، أم ...

قاطعه اللواء (فتحى) فى صرامة :

ــ أطلقوا النار على الفور ... لن نجازف بمحاولة إلقاء القبض عليه مرة أخرى.

حمل صوت الرجل ارتياحه ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كما تأمر يا سيادة اللواء .

التقط جهاز اتصال (رياض) هذه المحادثة القصيرة ، فهتف فى غضب :

ـ ماذا تفعل يا سيادة اللواء ؟!.. لقد طلبت منك فى وضوح ، الابتعاد تمامًا عن هذه المنطقة .

صاح به اللواء (فتحى) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ ما طلبته يُعد خيانة عظمى أيها المفتش .

صاح (رياض) بدوره :

ـ مع اعتذارى لفارق الرتب ، فأنا المسئول عن هذا الملف أيها اللواء ، ووحدى أقرر ما ينبغى ، وما لا ينبغى فى هذا الشأن.

بدا اللواء (فتحى) شديد الغضب ، وهو يصرخ :

ـ يمكنك أن تتقدم بشكوى رسمية .

ثم أضاف قبل أن ينهى الاتصال :

ـ بعد أن أحظى بجثة مجرم القرن .

احتقن وجه (رياض) فى شدة ، مع قطع الاتصال ، ورسم عقله صورة لفرق الأمن ، وهى تطلق النار على (أكرم صدقى) ؛ باعتباره مجرم القرن ، فسرت فى جسده قشعريرة عجيبة ، جعلته يقول لقائد الهليوكوبتر فى عصبية صارمة :

ـ اهبط إلى جـوار سيارة اللواء (فتحى) ، فى حين أجرى اتصالاً هامًا .

وتراجع بنفس العصبية ، وهـو يجـرى ذلك الاتصال برئيسه المباشر ...

أما داخل تلك المدينة الجديدة ، فقد راح أفراد الفريقين (أ) و(ب) ، يمشطون المدينة مبنى بعد آخر ، وعبر خطة ممنهجة ، تضمن عدم إفلات فأر صغير من بين أيديهم ...

وعبر جهاز الاتصال الداخلى المحدود ، قال قائد الفرقة (أ) لرجاله :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ اعملوا على تأمين كـل مبنى يتم تمشيطه ، حتى لا يعـود إليه الهدف ، بعد أن نفرغ منه .

وانعقد حاجباه دون أن يدرى ، وهو يضيف :

ــ فى حال أنه لم يلق مصرعه بالفعل .

لم يكد يتم اتصاله ، حتى جاءه صوت اللواء (فتحى) ، يقول فى صرامة :

ــ انتهت المهمة ... لقد لقى الهدف مصرعه بالفعل ... عثرنا على جثته المحترقة ، داخل السيارة المدرَّعة .

قفز حاجبا قائد الفرقة (أ) يرتفعان ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ حقًّا ؟!

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى توتر :

ــ ولكن كيف تم هذا الاتصال يا سيادة اللواء ؟!... المفترض أن موجة الاتصال هـذه موجـة مغلقة ، محدودة بأفراد الفرقة وحدهم !!...

أتاه من خلفه صوت خافت ، يحمل رنة ساخرة ، وهو يقول :

ــ ربما لأنه لم يأت فعليًا من لوائك .

استدار قائد الفرقة (أ) فى سرعة ، ليواجه صاحب الصوت ، وهو يرفع مدفعه الآلى ، ولكن كـل ما رآه فى تلك اللحظـة ، هو قبضة قوية ، تتجه نحو أنفه ...

مباشرة ...

* * *

ارتسـم مزيج مـن الغضب والعصبية ، على وجـه اللـواء (فتحى) ، عندما هبطت هليوكوبتر المفتش (رياض) إلى جواره ، فشدَّ قامته ، وشبك أصابع كفيه خلف ظهره ، فى وقفة صارمة متعالية ، وهو يتابع المفتش ، الذى قفز من الهليوكوبتر ، واندفع نحوه قائلاً :

ــ ستصلك أوامر من الوزير شخصيًا يا سيادة اللواء ، لتؤكد لك أننى وحدى المسئول عن هذا الملف ...

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه اللواء فى غطرسة عصبية :

ـ جهـاز الاتصال الخـاص بى أصابه عطب مفاجئ ، ولن يمكننى تلقى هذا الاتصال المزعوم .

ناوله (رياض) جهاز اتصاله ، وهو يقول :

ـ يمكنك استخدام هذا .

التقط اللواء جهاز اتصال (رياض) فى هدوء ، وقلّبه بين يديه ، ثم رفع عينيه إلى هذا الأخير ، قائلاً فى برود :

ـ وماذا عن الرصاصة التى أصابته ؟!

تساءل (رياض) فى دهشة مستنكرة :

ـ أية رصاصة ؟!

ألقى اللواء (فتحى) جهاز اتصال (رياض) أرضًا ، وسحب مسدسه فى سرعة ؛ ليطلق عليه رصاصة ، ثم يعيده إلى جيبه بنفس السرعة ، مبتسمًا فى شراسة ، وهو يجيب :

ـ هذه .

احتقن وجه المفتش (رياض) ، وهو يقول فى غضب :

ـ لن يفلت هذا دون عقاب .

اتسعت ابتسامة اللـواء (فتحى) ، وهـو يشيح بوجهه ، مغمغمًا :

ـ يمكنك أن تحاول .

قالها ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ؛ عندما لمح رجال الفرقتين (أ) و(ب) ، وهم يعودون من المدينة الجديدة ، فهتف بهم فى حدة :

ـ لماذا عدتم ؟!... المفترض أن تبقوا فى مواقعكم !

أجابه أحدهم فى دهشة :

ـ ولكنهم أخبرونا أنكم قد عثرتم بالفعل على جثة مجرم القرن محترقة ، داخل السيارة المدرَّعة .

صرخ فيه اللواء بكل غضبه :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أى أحمق أخبركم هذا ؟!... لقد أطفأنا نيران السيارة منذ لحظات فحسب ، ولم نبدأ عملية فحصها بعد .

اعتدل المفتش (رياض) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، امتزجت بالتماعة عينيه ، ورجل الفرقة يغمغم حائرًا مرتبكًا :

ـ قائدو فرقنا أخبرونا بهذا يا سيادة اللواء !!

سمع (رياض) من خلف صوت (أكرم) يهمس :

ـ هيا بنا.

كان اللواء (فتحى) يصرخ :

ـ إنها خدعة أيها الحمقى ... عودوا إلى مواقعكم ، حتى أصدر لكم شخصيًا الأمر بالعودة .

تجاهل المفتش (رياض) غضب اللواء (فتحى) ، وهو يلتفت إلى الواقف خلفه ، والذى يرتدى زى أفراد الفرقة (أ) ، وغمغم ، وهو يعود إلى الهليوكوبتر :

ـ هيا .

استقل كلاهما الهليوكوبتر ، التى ارتفـع قائدها على الفور ، فهتف أحد أفراد الفرقتين :

ـ لماذا اصطحب زميلنا ؟!

استدار اللواء (فتحى) إلى الهليوكوبتر فى سرعة ، وكاد يشتعل غضبًا ، وهو يصرخ :

ـ أوقفوا هذه الهليوكوبتر ... أطلقوا عليها النار .

ارتبك الرجال ، فلم يطلقوا النار على الفور ، وغمغم أحدهم متوترًا :

ـ على المفتش (رياض) ؟!

لم يجبه اللـواء (فتحى) ، وهـو يتابع بكل غضبه ، الهليوكوبتر التى راحت تبتعـد فى سرعة ، جعلتها بعيدة عن متناول رصاصات رجاله ، وضاعف من غضبه أنه لا يستطيع أن يأمر طائرات الهليوكوبتر ، التى ابتعـدت بالفعـل ، بمطاردة

Looloo
www.dvd4arab.com

هليوكوبتر ، بداخلها المسئول الرسمى عن ملف مجرم القرن ، فغمغم بكل ما يشتعل فى أعماقه :

ـ خائن .

أما فى داخل الهليوكوبتر ، فقد هتف (رياض) فى انبهار :

ـ كيف فعلتها ؟!

صمت (أكرم) لحظات ، قبل أن يغمغم فى بطء :

ـ بالطريقة المعتادة .

لم تكن إجابة شافية ، فتساءل (رياض) فى حذر :

ـ هل واجهته ؟!

خلع (أكرم) خوذة الفريق (أ) ، وهو يجيب بنفس البطء :

ـ كانت مواجهة مدهشة .

كانت شفتاه تحملان ابتسامة ساخرة ، وهو يلقى إجابته الأخيرة ، فتراجع (رياض) فى حركة حادة ، وهو يهتف :

ـ لست (أكرم صدقى) .

التفت إليه (أكرم) ، وهو يقول ، وقد اتسعت ابتسامته الساخرة :

ـ هذا هو ما يطلقونه علىَّ ، منذ مولدى .

صاح (رياض) ، وهو يستل مسدسه :

ـ أنت مجرم القرن .

وقبل أن يرتفع مسدسه ، هوت قبضة مجرم القرن على فكه ...

بقوة .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل السابع

نفثت (صوفيا جريشام) دخان سيجارتها الرفيعة ، فى بطء واستمتاع ، قبل أن تخفض عينيها إلى مستر (زد) ، قائلة فى ثقة ظافرة :

ــ هذا حقيقى يا مستر (زد) ... (أكرم صدقى) صار اليوم تحت سيطرتى الكاملة .

بدا عليه الشك وعدم التصديق ، وهو يتطلع إليها فى صمت ، طال حتى وجدت نفسها تضيف :

ــ الفكرة قفزت إلى ذهنى ، عندما وقع فى يدى ذلك الاختراع الفذ ، لشريحة إليكترونية دقيقة ، فى حجم ميكروسكوبى ، يمكن دفعها عبر إبرة محقن عادى ، فى عنق أى فرد عادى ، فتصدر ذبذبات خاصة ، تجعل عقله ملك يمينك ، يطيع أوامرك ، وينفذ ما تدفعه إليه ، دون أن يدرك حتى أنه يفعل .

واصل مستر (زد) صمته لحظات ، ثم تساءل فى حذر :

ــ لماذا إذن مازال يحتفظ بكل قدراته ومهاراته ؟!

ابتسمت ، وهى تنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ، ثم أجابت :

ــ وما حاجتى إليه ، لو لم يملك كل هذا ؟!

ثم مالت نحوه ، مضيفة فى حزم :

ــ العبقرية ليست فى أن تقضى على (قاهر المستحيل) ، بل فى أن تجند كل قدراته لصالحك .

تراجع فى مقعده ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ وهذا ما يبدو لى ناجحًا ، حتى هذه اللحظة .

رفعت حاجبيها الجميلتين وخفضتهما ، وهى تقول :

ــ أرأيت !!...

عاد يعتدل فى حركة حادة ، متسائلاً فى حزم :

ــ ولكن ماذا تستهدفين فى النهاية ؟!... أن يصير مجرمًا ؟!

هزت كتفيها ، قائلة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لقد صار بالفعل ... ولقد رأيت بنفسك ، كيف أنه قد صار (مجرم القرن) كما يصفونه ، وليس مجرد مجرم عادى .

غمغم :

ــ هذا صحيح .

ثم استدرك فى صرامة :

ــ ولكن هذا الهدف لا يفيدنا بشىء .

ابتسمت فى ثقة ، ولوّحت بيدها الممسكة بسيجارتها ، وهى تجيب :

ــ لقد أفادنا بالفعل .

وعادت تميل نحوه ، مضيفة فى ثقة :

ــ وستدرك هذا ، بعد أقل من ساعة واحدة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكرّر فى حذر :

ــ أقل من ساعة واحدة ؟!

اعتدلت فى مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها فى بطء ، وكأنها تتعمد أن تلهب أعصابه ، قبل أن تقول :

ــ منذ قليل ، نجح (أكرم صدقى) فى اقتحام مدينة البحوث العلمية ، وحصل على تصميمات أحدث سلاح إليكترونى ، ابتكرته العقول المصرية ، وهو قادر على إيقاف عمل كل الأجهزة الرقمية ، فى لحظة واحدة ، بحيث يصبح عدوهم أعمى ، لا يملك رادارًا ، أو أجهزة توجيه رقمية ، أو حتى نظم تصويب إليكترونية ، فلا يعود قادرًا على رصد طائرات تتجه نحوه ، أو التصدى لها ... باختصار ، هذا السلاح سيحول أية مواجهة ، بين المصريين وأى عدو لهم ، إلى مواجهة بين القرن الحادى والعشرين ، والقرن التاسع عشر .

سألها مستر (زد) فى انبهار :

ــ وهل خرج به من مدينة البحوث العلمية بالفعل ؟!

ابتسمت ابتسامة كبيرة ، وهى تقول :

ــ إننا نتحدث عن (قاهر المستحيل) سابقًا ، و(مجرم القرن) حاليًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألها فى لهفة :

ــ ومتى نستطيع الحصول على تلك التصميمات ؟!

أجابته فى سرعة :

ــ لقد أخبرتك .

وعادت تنفث دخان سيجارتها الرفيعة ، قبل أن تلقى ما تبقى منها إلى ركن الحجرة ، مكملة ، وعيناها الجميلتان تتألقان فى ظفر :

ــ بعد أقل من ساعة واحدة :

وتضاعف انبهار مستر (زد) ...

ألف مرة ...

* * *

« هرب ؟!.. »

صرخ رئيس (رياض) بالكلمة ، فى غضب رهيب ، فى وجه المفتش (رياض) ، الـذى بدا فى حالة مزرية ، يمسك أنفه ،

الذى لم يتوقف عن النزيف ، إلا منذ قليل ، بعد لكمة (أكرم) القوية ، فغمغم هذا الأخير ، فى ألم واضح :

ــ المفاجأة كانـت أكبـر مـن كل توقعـاتى يا سـيدى .... الرجلان نسخة طبق الأصـل مـن بعضهما البعض ، وعندما غادرت سـاحة القتـال ، مـع مجـرم القـرن ، كنت أتصور أننى أغادرهـا مع (أكرم صدقى) الآخر ، الذى أحضرناه من عالمه !

هتف رئيسه فى غضب :

ــ بهذه البساطة ؟!

هزَّ (رياض) رأسه ، مغمغمًا فى أسى :

ــ للأسف .

انقلبت سحنة رئيسه فى غضب شديد ، وحدجه بنظرة نارية ، ثم دفع قدميه دفعًا ؛ للعودة إلى خلف مكتبه ، قبل أن يقول فى عصبية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وماذا عن الآخر؟!

التقط (رياض) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ لا أحد يدرى !

هتف به رئيسه مرة أخرى :

ـ ما الذى يعنيـه هـذا ؟!... رجلان داخل مدينة جديدة ، يواجهان بعضهما البعض ، وكلاهما فى مثل قدرات الآخر ، وأحدهما عاد ظافرًا ، فأين ذهب الآخر ؟!.... أهذا سؤال بهذه الصعوبة ؟!

صمت (رياض) لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ قوات اللواء (فتحى) أعادت تمشيط المدينة الجديدة ، وكل ما يحيط بها ، مترًا مترًا ، وشبرًا شبرًا ، دون أن يسفر هذا عن العثور على أى مخلوق حى .

ضرب رئيسه سطح مكتبه براحته ، وهو يقول فى حدَّة .

ـ هذا يتعارض مع المنطق .

غمغم (رياض) ، وكأنه يحادث نفسه :

ـ ومع الوقائع أيضًا .

ران على كليهما صمت مهيب ، قبل أن يسأل رئيسه مرة أخرى :

ـ وماذا عـن قائد الهليوكوبتر ؟!.... هـل استجوبته بشأن ما حدث ، بعد أن أفقدك مجرم القرن وعيك .

أومأ (رياض) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول :

ـ كل ما يعلمه هو أن مجرم القرن قد أجبره على الهبوط بالهليوكوبتر ، خارج حدود تلك المدينة الجديدة ، ثم استولى على الهليوكوبتر ، وفرَّ بها من المكان .

سأله رئيسه ـ فى سرعة :

ـ وماذا عن تقارير وحدات الرادار ، ووحدات الدفاع الجوى ؟!

أجابه (رياض) بنفس السرعة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الهليوكوبتر هبطت على بعد خمسة كيلومترات ، من المدينة الجديدة ، وتم العثور عليها قبل قليل ، ولكن دون أن يعثروا على أى أثر لمجرم القرن ، باستثناء بصماته داخلها .

تراجع رئيسه فى مقعده ، ولاذ بالصمت والتفكير لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ مهما كان أو حدث ، فمازال السؤال الأساسى مطروحًا .

وعاد يميل إلى الأمام ، مضيفًا :

ـ أين ذهب الآخر ؟!

وكان هذا هو السؤال بالفعل ...

أين ذهب (أكرم صدقى) ؟!

(أكرم) عالمنا ؟!...

أين ؟!..

* * *

انطلقت تلك السيارة الرياضية الصغيرة ، عبر شوارع (القاهرة) ، متفادية مواقع أكمنة الشرطة ، التى انتشرت فى العديد من الشوارع ، مسترشدة بجهاز تحديد موقع عالمى (GPS) ، من نوع خاص ، تمت برمجته مسبقًا ؛ ليقودها إلى نقطة بعينها ، على أطراف مدينة (القاهرة) ...

وفى داخلها بدا (أكرم صدقى) هادئًا واثقًا ، وكأنما هو فى نزهة جميلة ، وليس شخصًا مطلوبًا ، على أعلى درجة من الأهمية والخطورة ، على مستوى (مصر) كلها ...

وأمام منزل من طابقين ، توقفت سيارة (أكرم) ، وهبط هو منها بنفس الهدوء ، وتلفَّت حوله ، ثم اتجه نحو باب المنزل ، وأخرج من جيبه بطاقة ممغنطة ، مرَّرها فى جهاز صغير ، إلى جوار الباب ، فانفتح الباب فى هدوء ، ليعبره هو ، ثم يغلق خلفه فى إحكام ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ومع انغـلاق الباب ، أضيئت الأنوار على نحو تلقائى ، وظهر رجـل أصلع ، ضخم الجثة ، يقـف فى منتصف قاعة كبيرة ، استقبل (أكرم) بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ــ نجحت كالمعتاد .

اكتفى (أكرم) بابتسامة هادئة ، دون أن يجيب ، فمدَّ إليه الأصلع يده ، قائلاً :

ــ هل أحضرت المطلوب ؟!...

أجابه (أكرم) فى هدوء :

ــ ومن أنت لأعطيك إياه ؟!

بدا الأصلع غاضبًا ، صارمًا ، وهو يقول فى حدة :

ــ أنا من ينبغى أن تعطينى إياه .

ابتسم (أكرم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ــ وماذا لو رفضت ؟!... هل ستحاول الحصول عليه بالقوة ؟!

قالها (أدهم) ، وهو يضم قبضته ، فتطلع إليها الأصلع لحظات ، مستعيدًا كل ما سمعه عن قدرات (أكرم) ، وساد صمت ثقيل لحظات ، ثم التقط الأصلع هاتفه الخاص ، وطلب رقمًا قصيرًا ، ثم قال فى صرامة وعصبية :

ــ إنه يرفض منحى ما جئت لأجله .

استمع إلى الطرف الثانى لحظات ، ثم غمغم :

ــ فليكن .... سأنتظر .

قالها ، وأعاد هاتفه إلى جيبه ، ثم عقـد كفيه أمامه ، وتطلع إلى (أكرم) فى اهتمام ، فعاد (أدهم) يبتسم فى سخرية ، قائلاً :

ــ هل تنتظر نجدة من السماء ؟!

حاول الأصلع أن يبتسم ، وهو يقول :

ــ بل من رأسك .

مع نهاية عبارته ، انعقد حاجبا (أكرم) ، وبدا وكأنه يعانى ألماً ما ، ثم لم يلبث أن رفع كفيه إلى رأسه ، يمسكه بكلتيهما ،

Looloo
www.dvd4arab.com

وكأنه يحاول منعــه من الانفجار ، فاتسعت عينا الأصلع ، وهو يقول :

ــ استسلم يا مجرم القرن ... لن تستطيع المقاومة طويلاً .

بدا وكأنه على حــق فى قوله هــذا ، فقد تضاعفت ملامح الألم على وجه (أكرم) ، وأحنى رأسه ، وهو مازال يمسكه بكفيه ، وندت من بين شفتيه آهة ألم ، جعلت الأصلع يقول فى ظفــر :

ــ ما رأيك فى الحديث عن القوة الآن ؟!

وفى هدوء ، اتجه نحو (أكرم) ، مضيفًا :

ــ كان الأفضل لك أن تعطينى ذلك الشىء بنفسك ، بدلاً من أن أنتزعه من جثتك .

تعالت آهات الألم ، من بين شفتى (أكرم) ، والأصلع يقترب منه ...

ويقترب ...

ويقترب ...

ومع ابتسامة واسعة كبيرة ، مد يده إلى جيب (أكرم) ، و...

وفجأة ، قبضت يد (أكرم) على معصمه بأصابع من فولاذ ، على نحــو جعــل الأصلع يرتجف فى قــوة ، وتتسع عيناه عن آخرهما ، مع ابتسامة (أكرم) الساخرة ، وهو يعتدل بكل الحيوية والنشاط ، قائلاً :

ــ بمناسبة الحديث عن القوة .

وكانت مفاجأة ...

مذهلة .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثـامن

« أين اختفى (أكرم) ؟!... » ...

كاد عقل المفتش (رياض) يشتعل ، وهو يطرح السؤال على نفسه للمرة الألف ، بعد أن انتهى اللواء (فتحى) ورجاله ، من تفتيش كل شبر فى المدينـــة الجديدة ، القريبة من مدينة البحوث العلمية ، وفحص كل ما يحيط بها ، دون العثور على أدنى أثر للمفقود ..

(أكرم صدقى) عالمنا ...

ومجرم القرن عالمهم ، لم يعثر له أحد على أدنى أثر ، ولم يقدم على أية خطوة جديدة ، منذ فر بهليوكوبتر الشرطة ...

وبهذا تضاعف الغموض ألف مرة ...

أو يزيد ...

وبينما هو غارق فى أفكاره ، وأسئلته ، طرق مساعده (على) الباب ثلاث مرات ، فلما لم يتلق جوابًا ، دفع الباب فى حذر ،

وارتفع حاجباه فى دهشة ، عندما شاهد (رياض) يجلس بالقرب من نافذة حجرته ، دون أن يشعر حتى بقدومه ، فتنحنح مرتين ، قبل أن يقول فى صوت خافت ، وكأنه يخشى اقتحام خلوته :

ـــ سيدى المفتش .

انتفض جسد (رياض) انتفاضة خافتة ، لم تخطئها عينا (على) ، قبل أن يلتفت إلى هذا الأخير ، قائلاً فى توتر :

ـــ ماذا هناك ؟!

غمغم (على) ، وهو يدخل إلى الحجرة ، فى خطوات مترددة :

ـــ يبدو أن مجرم القرن قد قرر التحول إلى العالمية ، يا سيادة المفتش .

أثارت العبارة (رياض) فى شدة ، فاستدار إليه بجسده كله ، وهو يقول فى عصبية :

ـــ من أين جئت بهذا ؟!...

أشار (على) بيده ، مجيبًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لقد غادر إلى (روما) ، فى طائرة السابعة صباحًا .

هتف المفتش (رياض) بكل انفعاله :

ـ مـاذا ؟!... أى قـول أحمـق تقـوله بهـذه البسـاطة يا (على) ؟!... كيف يمكن لرجل ، يحفظ كل رجل أمن فى (مصر) صورته ، عن ظهر قلب ، أن يغادر البلاد ، دون أن يستوقفه شخص واحد ؟!

أجابه (على) ، فى سرعة وتوتر :

ـ لم يكن من الممكن أن يوقفه أحد يا سيدى .

صرخ (رياض) :

ـ ولماذا ؟!... هل اختطف الطائرة بالقوة ؟!

تراجع (على) خطوة ، وكأنه يخشى غضبه ، وهو يجيب متوترًا :

ـ كلا بالتأكيد يا سيادة المفتش ، ولكنه غادر بهوية شخص آخر .

هب (رياض) من مقعده ، هاتفًا :

ـ مستحيل !... لا يمكن لشخص أن يغـادر ، دون فحص بصماته ، و ...

قاطعه (على) بكل توتره :

ـ لقد اجتاز كل إجراءات الأمن يا سيدى .

صدم الجواب (رياض) ، فتجمد فى مكانه لحظة ، قبل أن يكرِّر فى ذهول :

ـ مستحيل !!...

ازدرد (على) لعابه ، قبل أن يقول ، وقد تضاعف توتره :

ـ الأهم أنه قـد غادر بهوية شخص ، ليس مـن السهل استيقافه ، أو الشك فى أمره :

تساءل (رياض) فى صوت مبحوح :

ـ رئيس الجمهورية ؟!...

ازدرد (على) لعابه مرة أخرى ، قبل أن يجيب بكل التوتر :

www.dvd4arab.com

ـ بل أنت يا سيادة المفتش ... غادر بهويتك أنت .

واتسعت عينا (رياض) ، بكل ذهول الدنيا ...

وعلى الرغم من هذا ، كان اتساع عينيه هو أقل مما يشعر به فى أعماقه ...

بكثير ...

* * *

انعقد حاجبا (صوفيا جريشام) فى توتر شديد ، وهى تحاول للمرة العاشرة ، الاتصال برجلها الضخم (ريكو) ، الذى كان من المفترض أن يتسلم برنامج الشلل الكهرومغنطيسى ، الذى استولى عليه (أكرم) ، من معامل مدينة البحوث العلمية فى (مصر) ...

كان آخر ما تعلمه ، هو أنه قد التقى بـ (أكرم) بالفعل ، فى مكان اللقاء المتفق عليه ...

وأن (أكرم) كان يرفض تسليمه البرنامج ...

حتى أطلقت هى تلك الإشارة ، التى تتصل بالشريحة الميكروسكوبية ، المزروعة فى جسد (أكرم) ، والتى تجبره على طاعة أوامرها ، على الرغم منه ...

بعدها انقطع الاتصال ، بينها وبين هاتف (ريكو) تمامًا ...

وهذا يثير قلقها وتوترها ...

وبشدة ...

وعلى الرغم من أنها تبغض هذا فى شدة ، إلا أنها ، ومع توترها الشديد ، التقطت هاتفها المحمول ، وطلبت رقمًا خاصًا ، لم تكد تسمع صوت صاحبته ، حتى قالت ، محاولة التظاهر بالتماسك :

ـ دونا (كاترينا) ... كيف أنت اليوم ؟!

أتاها صوت دونا (كاترينا) ، زعيمة (المافيوزا) الإيطالية ، محملاً برنة ساخرة تبغضها ، وهى تقول :

ـ لست أظنك تجرين هذا الاتصال ، فقط لسؤالى عن يومى يا (صوفيا) .

Looloo
www.dvd4arab.com

حاولت كتمان ذلك الغضب ، الذى يشتعل فى أعماقها ، إلا أنها خلفت بعض التوتر فى نبراتها ، وهى تقول :

ـ هل من أخبار عن (ريكو) ؟!... هل عاد من (مصر) ؟!

صمتت دونا (كاترينا) لحظات ، قبل أن تسأل فى جدية :

ـ لم أتلق منـه أية اتصالات ، منـذ بدأ العمـل لحسابك يا (صوفيا) ... ولست أدرى حتى لماذا أرسلته إلى (مصر) ... ولا ماذا يفعـل هناك ... فوفقًا لاتفاقنا ، المفتـرض أن تكون اتصالاته معك فقط ، مقابل ما اتفقنا عليه .

لم تجب (صوفيا) تساؤلاتها ، فأضافت دونا (كاترينا) ، فى شىء من الصرامة :

ـ ومازلت أتساءل : لماذا استعنت بأحد رجالى ، دون أى شخص من رجالك ، الذين يفترض أنهم أكثر احترافًا ؟!...

أجابتها (صوفيا) ، فى شراسة نابعة من عصبيتها :

ـ اتفقنا على أن أخبرك بكل شىء ، فور انتهاء العملية ... ثم إنك قد تقاضيت ما يكفى ؛ للامتناع عن السؤال .

هتفت بها دونا (كاترينا) فى غضب :

ـ ماذا كنت تتصورينني يا (صوفيا) ؟!... زعيمة وكالة لتأجير العملاء والقتلة المحترفين ، مقابل أجر مجز ؟!... إننى لم أتعاون معـك ؛ مقابل حفنـة من ملايين الدولارات ، يمكننى حصدها ، عبر مئات المشاريع ، التى تديرها (المافيوزا) ، فى مختلف أنحاء العالم ، خلال أسبوع واحد ... لقد تعاونت معك ؛ لأن تعاوننا سيصنع منا قوة ، لا قِبَلَ لأى كيان بالوقوف أمامها ، أو التصدى لها .

أجابتها (صوفيا) فى عصبية :

ـ وهذا ما أسعى إليه أنا أيضًا يا دونا ... صدقينى ... ولكن العملية تمر الآن بأدق مراحلها ، واختفاء (ريكو) ، فى هذه المرحلة بالتحديد ، يورثنى حالة من العصبية ، ربما كانت المسئول الأول عن طريقة حديثى معك .

ران الصمت لحظات على خطوط الهاتف ، قبل أن تقول دونا (كاترينا) ، وقد استعادت تماسكها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ فليكن يا (صوفيا) ... سأواصل اتفاقنا بنفس الشروط ، ولكننى سألزمك بكل التفاصيل ، عقب انتهاء تلك العملية ، التى تتحدثين عنها .

سألتها (صوفيا) ، عاجزة عن كتمان توترها :

ــ وماذا عن (ريكو) ؟!...

مضت لحظة صمت أخرى ، قبل أن تجيب دونا :

ــ ساحاول معرفة أية تفاصيل بشأنه .

أجابتها (صوفيا) فى توتر :

ــ فليكن .

ثم أنهت المحادثة على الفور ، وهى تغمغم فى مقت :

ــ فلتتم العملية أولاً ، ثم لتذهبى بعدها إلى الجحيم ، أنت ومنظمتك كلها يا (كاترينا) .

قالتها ، وألقت هاتفها المحمـــول على المائدة ، وتراجعت فى مقعدها ، والتوتر مازال يملأ كل خليـــة مـــن خلاياها ، والسؤال مازال يطرح نفسه على عقلها فى إلحاح مؤلم ...

أين (ريكو) الآن ؟!...

أين ؟!...

* * *

« غادر (القاهرة) صباح اليوم ... » ...

قالها نائب مدير المخابرات العمومية ، فى العالم الموازى ، فرفع إليه مدير المخابرات العمومية عينيه ، وهو يتساءل :

ــ هل حصلتم على معلومات كافية بشأنه ؟!...

أومأ النائب برأسه إيجابًا ، وهو يجيب :

ــ اســمه (ريكو باريللى) ، عضـــو نشـــط ، فى منظمة (المافيوزا) الإيطالية ، ولكنه يعمل لحساب جهة أخرى ، بأوامر من دونا (كاترينا) ، زعيمة المنظمة ... ومعلوماته عن تلك الجهة الأخرى محدودة ، ولا يملك سوى رقم هاتف ، ينبغى الاتصال به عند الضرورة .

Looloo
www.dvd4arab.com

تراجع مدير المخـابرات فى مقعـده ، واستغرق فى التفكير لحظة ، قبل أن يقول ، وكأنه يحادث نفسه :

ــ مازال هناك ما ينقصنا إذن ...

أجابه نائبه فى اهتمام :

ولكننا نسير فى خطوات سليمة يا سيادة الوزير .

أومأ المدير برأسه ، قائلاً :

ــ سليمة ولكن بطيئة .

غمغم النائب :

ــ المهم أن تكون ناجحة يا سيادة الوزير .

مرة أخرى ، أومأ المدير برأسه إيجابًا ، قبل أن يعتدل جالسًا ، وهو يقول فى حزم :

ــ الأمر هذه المرة شديد الأهمية والخطورة ، والهدف يستحق الجهد والعرق والتضحيات ... ولكننا إذا ما بلغناه ، فسيساوى هذا الثمن الذى ندفعه بالتأكيد .

عاد النائب يغمغم :

ــ بالتأكيد يا سيادة الوزير ... بالتأكيد .

غرق مدير المخابـرات العمومية فى صـمته وتفكيره بعض الوقت ، قبل أن يقول :

ــ عمومًا ، أنت تعرف القواعد ... فى المرحلة التالية ، سنلتزم تمامًا الصَّادَيْن اللذين نؤمن بهما ... الصمت ... والصبر .

ابتسم نائبه ، دون أن يجيب ، ولكن المدير لم يبادله الابتسام ، وإن هَمَّ بقول شىءٍ ما ، عندما ارتفع رنين الهاتف المجاور له ، فالتقطه بحركة آلية ، قائلاً :

ــ ماذا هناك ؟!...

أتاه صوت مدير أمن مبنى المخابرات العمومية ، وهو يقول :

ــ هنـاك زائر بلا موعـد ، يصر على مقابلتـك شخصيًّا ، يا سيادة الوزير ، ويقول إنه أمر عاجل ، يخص الأمن القومى .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يتساءل :

Looloo
www.dvd4arab.com

– ومن يكون هذا الزائر ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، عندما أخبره مدير الأمن باسم الزائر ..

فبكل المقاييس ، كانت زيارة غير متوقعة ...

على الإطلاق ...

* * *

ألقت (صوفيا جريشام) سيجارتها الرفيعة أرضًا ، وسحقتها بقدمها فى حدة ، قبل أن تنفث دخانها فى عصبية ، وتقول لقائد حراسها :

– كيف لم تعثروا على هذا الخرتيت ؟!... المفترض أنكم مدربون على عمليات البحث والاستطلاع ، فكيف تعجزون عن العثور على شخص بهذا الحجم ؟!

أجابها قائد حراسها فى توتر :

– هاتفه لا يعمل أيتها الزعيمة .... والوسيلة الوحيدة لتعقبه ، عبر الأقمار الصناعية ، هى أن يعمل ، ولو لحظة واحدة .

قالت فى عصبية :

– المفترض أنكم تستطيعون هذا ، حتى ولو أغلق هاتفه .

أجابها ، فى توتر أكثر :

– إلا لو انتزع البطارية منها أيتها الزعيمة .

أشعلت سيجارة أخرى ، فى توتر مضاعف ، ونفثت دخانها بكل العصبية ، قبل أن تقول :

– هل فقدنا أثره إذن ؟!...

قلب الرجل كفيه فى استسلام عصبى ، ثم قال فى سرعة ، عندما لمح الغضب فى عينيها :

– ربما لو ...

قاطعته فى حدة :

– لا يوجد ربما .

تراجع قائد الحراس فى قلق ، فصرخت فيه :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ اعثروا عليه ... وبأى ثمن .

أسرع ينصرف ، وهــو يتساءل : كيف يمكنهم العثور على رجل ، لا توجد أية وسيلة لتحديد موقعه ؟!... أما هى ، فقد عادت تنفث دخان سيجارتها ، فى مزيد من العصبية والغضب ، وعقلها يشتعل فى شدة ...

وفى أعماق عقلها الملتهب ، انطرح سؤال مخيف ...

ماذا لو أن (ريكو) قد حصل على البرنامج بالفعل ، ولكنه لا ينوى العودة به إليها ؟!...

ماذا لو أنه أدرك قيمتــه ، وقرر الاحتفــاظ به ، والمقايضة عليه ؟!...

برنامج كهذا يساوى المليارات ...

هذا لو أدرك خرتيت مثل (ريكو) ماهيته ...

وأهميته ...

وخطورته ...

ووفقًا للتقييم الخاص به ، فمــن المســتحيل أن يدرك هــذا وحده ...

ولكن ماذا لو أن دونا (كاترينا) هى من وراء هذا ؟!..

ماذا لو أنها أخلت بالاتفاق ، و ...

قبل أن تتم تساؤلها الأخير ، ارتفع رنين هاتفها الخاص ، فالتقطته فى سرعة ، ورأت اسم دونا على شاشته ، فأسرعت تضغط زر الإجابة ، وهى تقول فى حذر :

ــ هل منٌ جديد يا دونا ؟!

أتاها صوت دونا (كاترينا) حازمًا ، وهى تقول :

ــ (صوفيا) ... لقد عثرنا على (ريكو).

وانتفض جسد (صوفيا جريشام) فى قوة ...

فقد حطم هذا كل تصوراتها ...

تمامًا .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل التـاسع

لثوانٍ ، وفى هدوء شديد ، لا يعكس ما يعتمل فى أعماقه ، جلس مدير المخابرات العمومية ، للعالم الموازى ، يتطلع إلى المفتش (رياض) ، الذى بدا ــ على عكسه ــ شديد التوتر ، يفرك كفيــه فى عصــبية ، وإن ظــل مثله صامتًا ، حتى قطــع مدير المخابرات حالة الصمت المهيبة ، وهو يقول :

ــ ليس من التقليدى أن أستقبل بنفسى زائرًا ، دون موعد سابق ، ولكن دعنى أسألك : بم يمكن أن أخدمك ، أيها المفتش (رياض) ؟!...

تنحنح المفتش (رياض) كعادته ، قبل أن يقول ، فى لهجة عكست توتره :

ــ ما جئت من أجله ليس تقليديًا يا سيادة الوزير ، ولكننى أؤمن بأننى لن أجد الجواب سوى هنا .

تراجع مدير المخابرات العمومية فى مقعــده ببطء ، وهو يسأله بنفس الهدوء :

ــ وعن جواب أى سؤال تبحث بالضبط ؟!...

بدا وكأن هذا السؤال الأخير قد أطلق لسان المفتش (رياض) من عقاله ، فاندفع يقول فى انفعال :

ــ صباح اليوم ، نجح مجرم القرن فى مغادرة (مصر) ، منتحلاً شخصيتى .

قال المدير فى خفوت ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه :

ــ علمنا هذا .

تابع (رياض) ، وكأنه لم يسمعه :

ــ العجيب أنه قد تجاوز كل إجراءات الأمن ، حتى فحص ومراجعة البصمات ، وكان تنكره متقناً إلى حد مذهل .

صمت المدير لحظة ، ثم قال :

ــ نحن على معرفة كاملة بقدراته ؛ فقد كان أحد رجالنا كما تعلم .

هزَّ (رياض) رأسه بلا معنى ، وتنحنح مرتين ، وكأن هذا وسيلته لمقاومة توتره ، ثم قال :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هــذا أعلمه جيــدًا ، ولكننى أعلم أيضًا أن بعض الأمور لا يمكن لفرد وحده القيام بها ، و ...

بتر عبارته فى ارتباك شديد ، فران على مكتب المدير صمت جديد ، استغرق بضع ثوانٍ ، قبل أن يتساءل المدير فى بطء :

ــ وماذا ؟!..

اندفع (رياض) مرة أخرى ، يقول فى توتر :

ــ ولا بد أن تدعمه جهة ما ، بكل ما تملك من إمكانيات .

مرة ثالثة ، خيَّم صمت مهيب على المكان ، رمق المدير خلاله المفتش (رياض) بنظرات ثاقبة ، قبل أن يعتدل بحركة مفاجئة ، متسائلاً فى صرامة :

ــ ما الذى ترمى إليه بالضبط أيها المفتش ؟!

تنحنح (رياض) بكل توتره هذه المرة ، وهو يقول :

ــ كنت أبحث عن الجواب هنا يا سيادة الوزير .

عاد المدير يتراجع فى مقعده ، ويرمقه بنفس النظرات الثاقبة ، التى زادت من توتره ، وجعلته يسعل بدلاً من أن يتنحنح ، فقال المدير فى صرامة :

ــ لست أظنك تجد جواب سؤالك هنا أيها المفتش .

قال (رياض) فى عصبية :

ــ بل أظن الجواب هنا بالفعل يا سيادة الوزير ، ولكن أحداً لا يريد الإفصاح عنه ...

بدا المدير أشد صرامة ، وهو يقول :

ــ عملنا هنا لا يعتمد على منح الأجوبة أيها المفتش .

ثم نهض واقفًا ، وهو يضيف ، وكأنما يعلن انتهاء المقابلة :

ــ ولكننا قد نجيب تساؤلك ، عندما نتوصل إلى الجواب ... تشرفنا بزيارتك .

نهض (رياض) بدوره ، وهو يتنحنح على نحو متصل ، قبل أن يقول فى عصبية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ قبل أن أنصرف ، أحب أن أنقل لسيادتك شعورًا يعترينى يا سيادة الوزير .

سأله المدير فى صرامة :

ـ أى شعور هذا ؟!

استند (رياض) براحتيه على سطح مكتب المدير ، ومال نحوه ، قائلاً فى حزم ، لم يخل من لمحة عصبية :

ـ فكرة تحول (أكرم صدقى) ، من رجل مخابرات فذ ، إلى مجرم القرن ، لم تنجح فى إقناعى قط .

قالها ، واعتدل فى حزم ، متبادلاً نظرة قوية مع مدير المخابرات العمومية ، قبل أن يستدير ويغادر المكتب فى خطوات ثابتة ....

ومع انصرافه ، عاد نائب المدير إلى المكتب ، وتبادل مع المدير نظرة صامتة ، حملت الكثير من المعانى ...

والكثير جدًا ...

جدًا ...

* * *

انعقد حاجبا (صوفيا جريشام) الجميلين فى شدة ، وهى تتطلع إلى (ريكـو) الراقـد على فراش طبى ، فى المستشفى الذى تملكه دونا (كاترينا) فى (روما) ، وقد بدا زائغ النظرات إلى حد كبير ، ودونا (كاترينا) تقول فى اهتمام :

ـ عاد من (مصر) ، على هـذا النحـو الذى ترينه ، وبقى جالسًا فى مطار (روما) ، لا يدرى من هو ، ولا أين ينبغى أن يذهب .

سألتها (صوفيا) ، وهى تشعل سيجارتها فى عصبية ، على الرغم من اللافتات ، التى تمنع التدخين فى المكان :

ـ ماذا أصابه بالضبط ؟!..

هزت دونا (كاترينا) رأسها نفيًا ، وهى تمد يدها ، لتنتزع السيجارة من بين شفتى (صوفيا) ، وتناولها إلى أحد رجالها ، مجيبة :

ـ كل ما يذكره أنه قد فقد وعيه ، داخل المنزل الذى أرسلته إليه فى (مصر) ، وعندما استعاده ، وجد نفسه وحيداً هناك ، وفى جيبه جواز سفره ، وتذكرة عودة إلى (روما) ، فى الصباح التالى ، الذى كان قد اقترب بالفعل ، فما كان منه إلا أن

www.dvd4arab.com

استقل سيارة أجرة إلى المطار ، وعـاد إلى هنا ، وهـو لا يذكر ما الذى ينبغى أن يفعله بعد وصوله !

سألتها (صوفيا) ، وهى تحاول إشعال سيجارة أخرى :

ـ وماذا عن البرنامج ؟!

استوقفتها دونا (كاترينا) فى صرامة :

ـ ألا تجيدين قراءة الإيطالية ؟!

أجابتها (صوفيا) فى عصبية شديدة :

ـ التدخين يساعد على تهدئة أعصابى ، والمفترض أنك تملكين المكان ، و...

قاطعتها دونا فى صرامة شديدة :

ـ ولكننى لسـت مستعدة للدخـول فى مشكلات تافهة ، مع الإدارة الصحية التابعة للحكومة .

مطت (صوفيا) شفتيها فى حنق ، فأردفت دونا فى صرامة :

ـ ثم عن أى برنامج تتحدثين ؟!

أشاحت (صوفيا) بوجهها ، قائلة فى حدة :

ـ اتفقنا على أن أخبرك بكل شىء ، بعد أن تنتهى العملية .

قالت دونا بنفس الصرامة :

ـ وماذا لو أن هذا لم يعد يرضينى ؟!

قالت (صوفيا) فى حدة أكثر :

ـ عليك التعايش مع هذا إذن ... الاتفاق هو الاتفاق .

نطقتها ، ثم دفعت الباب الزجاجى لحجرة (ريكو) ، واندفعت نحو هذا الأخير ، تسأله فى غضب :

ـ أين البرنامج ؟!

تطلع إليها (ريكو) فى ذعر يمتزج بالحيرة ، وهو يتساءل :

ـ أى برنامج ؟!

صاحت به فى حدة :

ـ البرنامج الذى أرسلتك لإحضاره من (مصر) .

تواصلت الحيرة المطلة من عينى (ريكو) لحظات ، قبل أن يغمغم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أذكر شيئًا عن هذا ... ولكن ...

قاطعته بنفس الحدة :

ـ لا يوجد (لكن) ... هـذا البرنامج يساوى حياتك ... هل تفهم ؟!

تضاعف الذعر ، فى ملامحه وعينيه ، وهو يقول :

ـ ولكننى لست أذكر شيئًا ... أقسم لك .

اعتدلت فى حركة حادة ، قائلة :

ـ لست أصدقك .

هتف فى ذعر :

ـ ولكننى أقسم ...

قاطعته دونا (كاترينا) هذه المرة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ لا تحاول يا (ريكو) ... لن تصدقك ، مهما قلت أو فعلت .

امتزج ذعره بحيرته ، وهـو ينقـل بصره بين المرأتين ، فأضافت دونا بكل صرامة :

ـ ولكن هناك وسيلة لحسم هذا .

سألتها (صوفيا) فى عصبية :

ـ وكيف يمكن حسم أمر كهذا ؟!

أجابتها دونا فى حزم :

ـ جهاز كشـف الكذب ... ألديك أى اعتـراض على هذا يا (ريكو) ؟!...

واتسعت عينـا (ريكو) ، وتضـاعف الذعـر فى ملامحه وعينيه ...

ولكن دون أن يجيب ...

على الإطلاق ...

* * *

« هذا خطأ ... »

قالها الدكتور (راضى) شقيق (رياض) ، فى توتر شديد ، جعل هذا الأخير يسأله فى عصبية واضحة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ماذا تعنى ؟!... ألا توجد وسيلة واحدة ؛ للتفرقة بين سكان هذا العالم ، وسكان العالم الموازى ، الذى أحضرنا منه (أكرم) الآخر ؟!

تطلع إليه (راضى) بضع لحظات فى حيرة ، وكأنه لم يفهم السؤال ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ بالطبع توجد وسيلة .

وتحولت لهجتـه فجـأة إلى الحمـاس العلمى الشديد ، وهو يضيف :

ـ العـوالم المتوازية السـبع ، تشترك كلهـا فى مساحة كونيـة واحـدة ، ولكن لكـل منهـا ذبذبـة خاصـة ، تجعله غير مرئى وغيـر محسـوس ، بالنسـبة للعـوالم الأخرى ، تمامًا مثـل الموجـات الرقميـة الفائقـة ، التى تحتـل كلها حزمة ترددات واحـدة ، ولكن لا تتداخـل موجـة منها مع الأخرى أبدًا .

لم يستوعب (رياض) كل هذه المصطلحات العلمية ، فقال بنفس العصبية :

ـ ثم ماذا ؟!

لوَّح (راضى) بيديه فى حماس ، متابعًا :

ـ وباستخدام مقياس طيفى ذبذبى ، ذى طبيعة خاصة ، يمكنك أن ترى أى مخلوق ، قادم من عالم موازٍ ، وكأنما تحيط به هالة خاصة ، يتغير لونها ، كلما اقترب موعده .

ردد (رياض) فى عصبية حائرة :

ـ موعده ؟!..

أومأ (راضى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بالطبع ... عند وصوله إلى عالمنا ، تحيط به هالة بيضاء اللون ، تتحول بعد أربع وعشرين ساعة إلى اللون البرتقالى ، ثم تتحـول إلى اللـون الأحمر ، خـلال الأربع والعشرين ساعة التالية ، وهذا يعنى أن ذرات جسده ستتفكك ، إن لم يعد إلى

Looloo
www.dvd4arab.com

عالمه ، قبل مضى ثلاث ساعات ، وإلا لتحـول لون الهالة إلى الرمادى ، وانهارت خلاياه دفعة واحدة .

اتسعت عينا (رياض) لحظات ، قبل أن يتساءل :

ـ وأين هو ذلك المقياس الطيفى الذبذبى ؟!

أشار (راضى) إلى جهاز كبير ، وهو يجيب :

ـ ها هو ذا .

حدَّق (رياض) فى الجهاز الضخم لحظة ، قبل أن يستعيد عصبيته ، قائلاً :

ـ وكيف يمكن أن يفيدنى جهاز فى حجم ثور ؟!

أومأ (راضى) برأسه ، قائلاً :

ـ آه ... تقصد وسيلة صغيرة متنقلة .

هتف (رياض) فى عصبية :

ـ بالضبط .

أومأ (راضى) برأسه متفهمًا ، واستدار يلتقط منظارًا كبيرًا ، داكن العدسات ، ويناوله إياه ، قائلاً :

ـ هذا سيؤدى الغرض ... فقط اضغط الزر الأصفر ، وسيعمل بكفاءة .

اختطف (رياض) المنظار فى لهفة ، وهو يقول :

ـ فقط اضغط الزر الأصفر ؟!..

ابتسم (راضى) ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

تهللت أسارير (راضى) لحظات ، ثم عاد إليها التوتر ، وهو يسأل :

ـ ولكن مهلاً ... إنك تتحدث عن ثلاثة أيام ، وليس أربعة ، كما أخبرتنى فى البداية !

عقد (راضى) حاجبيه ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ بل يومين وثلاث ساعات بالتحديد ... هذا هو الخطأ ، الذى كنت أخبرك عنــه ، قبل أن تَجُرَّنى إلى الحديث عن المقياس الطيفى الذبذبى ... أيًا كان ما نحضره إلى عالمنا ، من عالم موازٍ ، يتفكــك كيانه تمامًا ، لو بقى فى عالمنا ، لأكثــر مــن خمسين ساعة .

واتسعت عينا (رياض) عن آخرهما ...

فما قاله شقيقه ، يعنى أن ساعات (أكرم صدقى) عالمنا تتناقص فى سرعة ...

وأن حياته صارت فى خطر ...

خطر بلا حدود .

* * *

الفصل العاشر

سعل (ريكو) مرتين فى توتر ، ورجال دونا (كاترينا) يوصلون أسلاك جهاز كشف الكذب بصدره ورأسه وسبابته(*)، ونفثت (صوفيا) دخان سيجارتها ، وهى تسأله فى صرامة :

ــ متوتر ... أليس كذلك ؟!

أجابها فى عصبية واضحة :

ــ أكنت ستبقين هادئة ، فى موقف كهذا ؟!

سحبت نفسًا كبيرًا من سيجارتها الرفيعة ، ونفثته فى الهواء فى قوة ، قبل أن تجيب :

ــ لو أننى لا أخفى شيئًا .

مطَّ شفتيه الغليظتين ، مغمغمًا :

(*) جهــاز كشف الكذب (polygraph) : مخطاط متعــدد ، لكشف التغيرات الفسيولوجية ، فى التنفس والضغط وسرعــة النبض ، اخترعه (جون .أ. لارسن) عام 1921م .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هراء !

رمقته بنظـرة غاضبة ، ثم أشـارت إلى الفنى ، الذى يجلس أمام الجهاز ، والذى سأله فى هدوء :

ـ اسمك (ريكو) ؟!

سحب (ريكو) نفسًا عميقًا ، وأجاب :

ـ نعم ..

أشارت مؤشرات الجهاز إلى صدق إجابته ، فأضاف الفنى :

ـ وجنسيتك فرنسية ؟!

أجاب (ريكو) فى سرعة :

ـ بل إيطالية .

مرة أخرى أشارت المؤشرات إلى صدق الإجابة ، فصمت الفنى لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ السؤال التالى أريدك أن تجيب عنه إجابة خاطئة .

بدا التوتر على وجه (ريكو) ، ورفع عينيه إلى دونا (كاترينا) ، التى أومأت برأسها إيجابًا ، فقال الفنى بعدها :

ـ أيبلغ طولك مترًا واحدًا ؟!

بدا الغضب على وجه (ريكو) ، وتطلع مرة أخرى إلى دونا ، التى عاودت الإشارة برأسها إيجابًا ، فأجاب هو فى توتر :

ـ نعم .

أشارت مؤشرات الجهاز إلى خطأ الإجابة ، فالتقطت (صوفيا) نفسًا آخر من سيجارتها ، وسألته فى صرامة :

ـ هل حصلت على البرنامج من المصرى ؟!

أجاب (ريكو) فى اندفاع :

ـ لا ... أقسم أن ...

قاطعته دونا بإشارة صارمة من يدها ، فى حين أشارت المؤشرات إلى صدق الإجابة ، فانعقد حاجبا (صوفيا) فى شدة ، وهى تغمغم فى عصبية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ مستحيل !

رفع الفنى عينيه إليها ، قائلاً فى حزم :

ــ الجهاز لا يخطئ ..

ازداد انعقـاد حاجبيها ، وعـادت تنفث دخان سيجارتها فى قوة ، فهتفت بها دونا فى حدة :

ــ أطفئى هذه السيجارة فورًا .

ألقت (صوفيا) سيجارتها فى حدة ، وسحقتها بقدمها فى عنف ، وهى تقول فى غضب :

ــ الأمر أخطر من أن نأخذ قوله على علاَّته ، على هذا النحو من الاستسلام .

كرَّر الفنى فى شىء من الغضب :

ــ الجهاز لا يخطئ .

صاحت به فى حدة :

ــ هذا ما تتصوره .

كانت تهم بإطلاق المزيد من الصراخ فى وجهه ، عندما ارتفع رنين هاتفها الخاص فجأة ، فالتقطته فى سرعة ، وعاد حاجباها ينعقدان فى شدة ، وهى تلقى نظرة على شاشته ، قبل أن تلتفت إلى (ريكو) فى حدة ، قائلة :

ــ إنه هاتفك .

انعقد حاجبا (ريكو) ، فى توتر شديد ، فى حين ضغطت هى زر الاتصال ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فأتاها صوت ساخر مألوف ، يقول :

ــ كنت واثقًا من أنك ستجيبين يا (صوفيا) .

كاد حاجباها الجميلان يلتحمان ، من شدة انعقادهما ، ووجهها الفاتن ينفجر ، من شدة ما أصابه من احتقان ...

فصاحب الصوت كان هو نفسه (أكرم) ...

(أكرم صدقى) ...

مجرم القرن ...

Looloo
www.dvd4arab.com

شخصيًا ...

* * *

« إنه (أكرم صدقى) ... » ...

قالها خبير المعمل الجنائى فى حسم وحزم ، فانعقد حاجبا المفتش (رياض) فى شدة ، وهو يسأله فى توتر :

ـ أأنت واثق من هذا ؟!

أجابه خبير المعمل الجنائى فى ثقة :

ـ دون أدنى شك ... البصمة الجينية لبقعة الدم ، التى عثر عليها رجال اللواء (فتحى) ، فى الطرف البعيد للمدينة الجديدة ، تنطبق بنسبة مائة فى المائة ، مع تلك الموجودة فى ملف العميد (أكرم صدقى) ، والتى زودتنا بها المخابرات العمومية .

صمت (رياض) لحظات لاستيعاب الأمر ، قبل أن يسأل فى قلق :

ـ وما الذى يمكن أن يشير إليه هذا ؟!

هزَّ الخبير كتفيه ، مجيبًا :

ـ إن بقعة الدم تخصه .

هتف (رياض) مستنكرًا :

ـ أى جواب هذا ؟!

أجابه الخبير فى سرعة :

ـ آه ... لو أنك تقصد سبب وجودها ، فهذا أمر قد يجيب عنه خبراء مسرح الجريمة ، الذين يفحصون المكان ، ويلتقطون الدلالات منه ، أما بالنسبة لنا ، فكل ما يعنيه هذا ، هو أن عميد المخابرات العمومية السابق ، قد نزف بعض الدم هناك .

استعاد (رياض) تقرير خبراء مسرح الجريمة ، والذى أشار إلى حدوث مشاجرة ما ، فى نفس المكان ، الذى تم العثور على بقعة الدم فيه ، وهو يغمغم متوترًا :

ـ إذن فأحدهما قد نزف دمه .

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يفهم خبيـر الآلة الجنائيـة ما يعنيه هـذا ، فمال برأسه متسائلاً :

ـ أحدهما ؟!

أشار إليه (رياض) بيده فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ربما أخطأت المصطلح يا هذا .

مع قوله ، قفـزت إلى ذهنـه فكرة مخيفة ، فلاذ بالصمت لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ هل يمكننى رؤية الدم ، الذى قمت بتحليل بصمته الجينية ؟!

مرة أخرى لم يفهم خبير الأدلة الجنائية ، ولكنه هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .... ولكنها كمية قليلة ، ولن تختلف نتائج فحصها ، عن النتيجة التى توصلنا إليها هنا .

كرّر (رياض) فى حزم وصرامة :

ـ هل يمكننى رؤيتها ؟!

مطّ الخبير شفتيه ، وهزّ كتفيه ، ثم اتجه إلى برّاد ذى واجهة ، والتقط فيها قنينة صغيرة ، وضعها أمام (رياض) ، الذى أسرع يفتح حقيبته ، ويلتقط منها ذلك المنظار ، ذا العدسات الداكنة ، والذى أعاره إياه شقيقه (راضى) ، ووضعه على عينيه ، فسأله الخبير فى حيرة :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

ولم يجبه (رياض) ...

أو لم يستطع إجابته ...

فحوّل القنينة الصغيرة ، ومن خلال عدسات المنظار الخاص ، كانت هناك هالة حمراء نصف داكنة ...

هالة تعنى أنه يتطلع إلى دماء (أكرم صدقى) الحقيقى ...

(أكرم صدقى) عالمنا ...

مباشرة ...

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

لثوانٍ ، ألجمت المفاجأة لسان (صوفيا) ، وبدا الأثر واضحًا على ملامحها ، حتى أن دونا (كاترينا) سألتها فى قلق :

ــ ماذا هناك ؟!

أشارت إليها (صوفيا) بالصمت ، وهى تحل فى صعوبة عقدة لسانها ، قائلة :

ــ كان المفترض أن تقوم بتسليم البرنامج لعميلى يا (أكرم) .

نقل إليها الهاتف ضحكة ساخرة ، طالما استفزتها ، قبل أن تسمعه يقول :

ــ بهذه البســاطة ؟!... برنامج دفاعى يســاوى المليارات ، تريدين الحصول عليه بكبسة زر .

قالت فى حدة شرسة :

ــ أنت تعلم أنك غير قادر على مخالفة أوامرى .

أجابها بنفس السخرية :

ــ هراء ... أعلم أنك تستطيعين التحكم فى عقلى من بعيد يا (صوفيا) ، ولكنك ، عندما قمت بحساب الأمر ، تجاهلت نقطة شديدة الأهمية .

لم تحر جوابًا ، فى انتظار أن يكمل حديثه ، وأدرك هو هذا ، فتابع فى صرامة ، خلت من السخرية :

ــ الإرادة يا (صوفيا) ... الإرادة البشرية ، التى تفوق أى جهاز إليكترونى ، مهما بلغت قوته .

قالت فى حدة :

ــ مستحيل !

استعاد ضحكاته الساخرة ، قبل أن يقول :

ــ لماذا إذن كانوا يلقبوننى بـ (قاهر المستحيل) ، أيام دفعتنى الحماقة إلى المجازفة بحياتى طوال الوقت ، من أجل راتب هزيل ؟!...

عضت شفتها السفلى لحظة ، ثم قالت فى غل :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ يبدو أننى قد صنعت وحشًا .

أجابها فى استهتار :

ـ بل صنعت منافسًا قويًا يا عزيزتى (صوفيا) ... والمنافس القوى ، لا يتنازل عـن صفقة العمـر لمنافسيه ... أليس هذا ما تقتضيه أصول اللعبة ؟!

عادت تعض شفتيها فى حنق ، قائلة فى عصبية :

ـ لا توجد منافسة من الأساس يا (أكرم) ... برنامج كهذا ، ليس من السهل بيعه ، دون أن تلاحقك مخابرات العالم كله .

مرة أخرى أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ ولكننى عثرت على مشتر بالفعل يا (صوفيا) .

وقسا صوته ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ مستر (زد) شخصيًا .

كادت أصابعها تعتصر الهاتف ، وهى تصرخ :

ـ مستحيل !!...

جاوبتها ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن ينهى المحادثة ، تاركًا عقلها ملتهبًا كالحمم ...

أو أكثر لهيبًا ...

ألف مرة ...

* * *

« لا يوجد تفسير آخر ... » ...

قالها رئيس (رياض) فى توتر شديد ، جعل جسد هذا الأخير يرتجف ، مع تلك القشعريرة الباردة كالثلج ، والتى سرت فى جسده كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وعندما حاول أن يقول شيئًا ، اختنقت الكلمات فى حلقه ، فسعل وتنحنح ، ثم قال فى صوت مبحوح ، يموج بكل الانفعال :

ـ ربما هناك تفسير آخر .

ضرب رئيسه سطح مكتبه براحته ، قائلاً :

ـ إلىَّ به .

Looloo
www.dvd4arab.com

قلب (رياض) كفيه فى حيرة وتوتر ، دون أن يحر جوابًا ، فتابع رئيسه بكل توتره :

ــ الأمر أوضح من أن تجد له تفسيرًا آخر .. (أكرم صدقى) العالم الآخر ، وثب من الهليوكوبتر ؛ ليواجه مجرم القرن ، ثم عاد مجرم القرن إليك ، واستولى على الهليوكوبتر ، وفرَّ بها ، ولم يعثر أحد على (أكرم صدقى) الآخر ، فكيف يمكن أن تفسر هذا ؟!

ظـل (رياض) صامتًا متوترًا ، فتابع رئيسه فى صرامة ، امتزجت بتوتره :

ــ لقد واجه القرينان بعضهما البعض ، بكفاءة متساوية ، ولكن قرين عالمنا كانت له مزية كبيرة .

انعقد حاجبا (رياض) ، وهو يتطلع إليه ، فى انتظار الجواب ، فأردف رئيسه :

ــ إنه منعدم الأخلاق ، ومجرم لا يشق له غبار .

غمغم (رياض) فى حنق :

ــ أتراها مزية يا سيدى ؟!

أجابه فى حدة :

ــ على الأقل ، ستدفعه نحو خطوات ، لا يتوقعها قرينه .

ثم لوَّح بيده مضيفًا :

ــ وبقعة الدم تثبت هذا .

شعر (رياض) بألم حاد فى ضميره ؛ لشعوره بأنه هو من أحضر (أكرم) الحقيقى إلى عالمه ، وتمتم فى توتر :

ــ ولكننا لم نعثر على جثته .

أجابه رئيسه فى حدة :

ــ لأن أحدًا لا يعلم أين وكيف أخفاها مجرم القرن .

ازدرد (رياض) لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

ــ سنواصل البحث ، و...

قاطعه فجأة رنين هاتفه المحمـول ، فالتقطه من جيبـه فى سرعة ، وقال عبره فى اهتمام متوتر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ما الجديد يا (على) ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى مساعده ، الذى ينقل إليه خبرًا لم يتوقعه ...

على الإطلاق .

* * *

الفصل الحادى عشر

« إذن فالأمر كذلك !!.... »

قالتها دونا (كاترينا) فى بطء وخبـث ، وهى تستمع إلى (صوفيا) ، التى نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ إننى أنشد تعاونك لا سخريتك يا دونا .

لم ترق لها ابتسامة دونا ، وهى تقول فى بطء :

ـ فقط عندما تعقدت الأمور .

هتفت بها (صوفيا) فى حدة :

ـ هل ستتعاونين معى أم لا ؟!...

مالت دونا نحوها ، وهى تقول :

ـ لا بد أن أثق بك أولاً يا عزيزتى (صوفيا) .

نفثت (صوفيا) دخان سيجارتها مرة أخرى ، فى عصبية أكثر :

ـ لقد أخبرتك كل شىء يا دونا .

Looloo
www.dvd4arab.com

تطلعت إليها دونا بضع لحظات فى صمت ، وكأنها تحاول سبر أغوارها ، قبل أن تقول فى حزم :

ــ إذن فأنت تعرفين مخبأ مستر (زد) هذا .

أشارت (صوفيا) بيدها ، وهى تجيب :

ــ إنه شديد الحذر ، ولكن تعاوننا لفترة طويلة ، ساعدنى على الالتقاء به شخصيًا .

سألتها دونا فى حذر :

ــ وما الذى يمنعك من الالتقاء به مرة أخرى ؟!

أجابتها فى عصبية :

ــ لا يوجد ما يمنعنى .

ثم مالت نحوها ، مضيفة فى غضب :

ــ ولكن لو أنه على اتصال مباشر مع (أكرم صدقى) ، فاللقاء به لن يكون عاديًا .

صمتت دونا لحظات ، قبل أن تسألها :

ــ ماذا تعتزمين بالضبط يا (صوفيا) ؟!

انعقد حاجبا (صوفيا) ، وهى تقول فى شراسة :

ــ ألاَّ أسمح له بتجاوزى .

تطلعت إليها دونا لحظات أخرى فى صمت ، ثم أطلقت ضحكة قصيرة مستفزة ، قبل أن تقول :

ــ عزيزتى (صوفيا) ... وفقًا لما سمعته منك ، فذلك الـ ... مستر (زد) ، رجل شديد الحذر والشك ، ومقره السرى خفى عن الأعين ، وحتى عن الأقمار الصناعية المتطورة ، وهو لا يسمح لأحد بالاقتراب منه ، ورجاله لديهم أوامر بإطلاق النار ، فور الشعور بلمحة من الشك ، فكيف تتوقعين الوصول إليه .

نفثت (صوفيا) آخر دخان سيجارتها الرفيعة ، ثم ألقتها بعيدًا ، وهى تجيب فى صرامة :

ــ لقد فكرت فى هذا .

ثم أشعلت سيجارة ثانية ، قبل أن تكمل :

ــ سأخبره أننى قد حصلت على البرنامج بالفعل .

حدَّقت دونا فيها لحظة فى دهشة ، قبل أن تدفع قائلة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وكيف له أن يصدقك ، لو أنه يتعامل بالفعـل مع (أكرم صدقى) ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

ـ لن يصدقنى .

ثم استدركت فى سرعة ، وهى ترفع السيجارة إلى شفتيها :

ـ ولن يصدق (أكرم صدقى) أيضًا .

جذبت دونا السيجارة من بين أصابعها ، وألقتها بعيدًا ، وهى تقول فى صرامة :

ـ التدخين سيقتلك يومًا .

هتفت (صوفيا) فى غضب :

ـ هذا شأنى وحدى .

أجابتها دونا بنفس الصرامة :

ـ عندما تدخنين فى الهواء الطلق ، أو فى مكتبك ، وليس فى مكتبى .

بدا لحظة وكأن (صوفيا) ستنفجر فى وجهها ، ثم لم تلبث أن تماسكت ، وتراجعت قائلة :

ـ فليكن .

أشارت إليها دونا فى ارتياح ، قائلة :

ـ أكملى ما كنت تقولين .

صمتت (صوفيا) لحظة ، ثم اندفعت تقول :

ـ مستر (زد) شديد الشك والحذر كما أخبرتك ... وحتى لو أتم الصفقة مع (أكرم) ، فهو لن يلتقى به أبدًا ، ولن يسمح له بمعرفة مقره السرى ... وما استشفَّيته من حديث (أكرم) عبر الهاتف ، هو أنه لم يتم الصفقة بعد ... ولهذا فعندما أخبر مستر (زد) ، أننى قد حصلت على البرنامج بالفعل ، سينتابه شك كبير ، وسيدفعه حذره إلى التيقن من هذا أولاً ، قبل أن يتعامل مع (أكرم) .

أطل الإعجاب من عينى (كاترينا) ، وهى تقول :

ـ وسيدعوك لمقابلته فورًا .

هزت (صوفيا) كتفيها ، قائلة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وهل لديه سبيل سوى هذا ؟!

تراجعت دونا فى مقعدها ، وهى تفكر مليًا فيما سمعته منها ، قبل أن تعتدل بحركة حادة ، وتسألها فى حزم :

ـ وفيم تنشدين تعاونى بالضبط ؟!

صمتت (صوفيا) بدورها لحظة ، ثم أجابت فى بطء :

ـ أنت تملكين العديد من الرجال .

انعقد حاجبا دونا ، وهى تقول :

ـ هل تقصدين ما أفكر فيه ؟!

أشارت (صوفيا) بيدها ، مجيبة :

ـ بالضبط .

ثم مالت هى نحو دونا ، مكملة فى حزم :

ـ عندما أصبح داخل مقر مستر (زد) السرى ، سأعمل على تدمير وسائل التعمية الإليكترونية لديه ، فى نفس الوقت الذى يكون فيه رجالك على أهبة الاستعداد لتلقى إشارتى ، التى ما أن أطلقها ، حتى ينقضوا على المقر ، و ....

لم تكن بحاجة إلى إكمال عبارتها ، فتراجعت مبتسمة ، تاركة دونا معقودة الحاجبين فى شدة ، تتطلع إليها بمزيج من الدهشة والاستنكار ، قبل أن تغمغم :

ـ هل تدركين مدى قوة مستر (زد) هذا ؟!

أجابتها (صوفيا) فى صرامة :

ـ سبق وأن سحقت من هو أكثر منه قوة .

تراجعت دونا مرة أخرى مفكرة ، قبل أن تغمغم فى قلق :

ـ إنها مخاطرة كبيرة .

أجابتها (صوفيا) ، فى صوت كالفحيح :

ـ البرنامج يساوى المليارات ، ومبلغ كهذا يستحق المخاطرة .

صمتت دونا لحظات ، ثم تألقت عيناها ، وهى تقول فى حزم :

ـ أنت على حق .

انتقل التألق إلى عينى (صوفيا) ، وهى تقول :

ـ إذن فقد اتفقنا .

Looloo
www.dvd4arab.com

اتسعت ابتسامة دونا ، وهى تجيب :

ـ بالتأكيد .

والتقت أيديهما الناعمة ، فى تآزر وحشى ...

للغاية ...

* * *

انعقد حاجبا المفتش (رياض) فى شدة ، وهو يتطلع إلى الجسد الملقى أمامه ، قبل أن يغمغم بكل توتره :

ـ أين عثرتم عليه ؟!

أجابه أحد رجال الشرطة :

ـ حيثما تقف يا سيادة المفتش .

ظل (رياض) يتطلع إلى ذلك الجسد لحظات أخرى ، ثم هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ عجيب !

مد مساعده (على) يده إليه بورقة كبيرة ، وهو يقول :

ـ كان مقيدًا فى إحكام ، وهذه الورقة معلقة بصدره .

عاد حاجبا (رياض) ينعقدان ، وهو يقرأ الكلمات القليلة على الورقة ، قبل أن يتنحنح ، ويمطَّ شفتيه ، قائلاً :

ـ هل تستطيع فهم هذا ؟!

هزَّ (على) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ حاولت يا سيادة المفتش .

قرأ المفتش (رياض) المكتوب على الورقة مرة أخرى ، وعاد يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ أظنهم سيفهمون .

لم يستوعب (على) معنى العبارة ، فتساءل فى حذر :

ـ من هم يا سيادة المفتش ؟!

تطلع إليه (رياض) فى صمت ، دون أن يجيب ، وبدا وكأنه شارد تمامًا بتفكيره ، حتى أنه لم يسمع السؤال ، فكرره (على) بصوت أكثر ارتفاعًا :

ـ من هم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

خُيل إليه أنه قد انتزع المفتش من شرود عميق ، عندما أدار هذا الأخير عينيه إليه فى صمت ، استغرق ثوانٍ قليلة ، قبل أن يستعيد حزمه التقليدى ، قائلاً :

ــ قم بكل الإجراءات الرسمية المعتادة يا (على) .

لم يكن هذا يجيب سؤاله ، بأى حال من الأحوال ، ولكن (على) اكتفى به ، وهو يقول :

ــ فورًا يا سيادة المفتش .

أسرع ينفذ الأمر ، فى حين التقط (رياض) هاتفه المحمول ، وطلب رقمًا خاصًا ، وما أن سمع صوت محدثه ، حتى قال فى احترام ، لم يخل من لمحة توتر :

ــ سيادة الوزير ... أنا المفتش (رياض) ... لدىَّ هنا لغز ، يتحتم أن تكونوا الجهة الوحيدة ، القادرة على فهمه .

قالها ، وهو يشعر بتوتر لا محدود فى أعماقه ...

هذا لأنه كان يتحدث إلى مدير المخابرات العمومية ... شخصيًا ...

* * *

ارتسمت كل الصرامة على وجه (صوفيا جريشام) ، وهى تتطلَّع إلى (ريكو) بجسده الضخم ، والذى وقف فى احترام خانع ، أمامها وأمام دونا ، التى سألته فى هدوء :

ــ ماذا تريد يا (ريكو) ؟!

بدا شديد التوتر ، وهو يجيب :

ــ كنت أنشد موافقتك يا دونا .

سألته فى حذر :

ــ على ماذا ؟!

التمعت عيناه فى غضب ، وهو يجيب :

ــ الانتقام .

تطلَّعت دونا إليه فى دهشة متسائلة ، فأردف فى انفعال :

ــ ذلك المصرى أذل ناصيتى ، وأساء إلى صورتى ، ولن تهدأ لى نفس ، حتى أنتقم منه .

قلبت (صوفيا) شفتيها فى امتعاض ، وهى تقول :

ــ إنها ليست لعبة انتقام يا هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

اندفع فجأة نحوها ، وتشبث بثيابها ، وهو يهتف :

ـ أرجوك يا سيدتى ... أرجوك .... الرجال هنا يعيروننى بما حدث ، فإما أن أنتقم ، أو أصبح سخريتهم إلى الأبد .

دفعته بعيداً عنها فى قسوة ، وهى تقول :

ـ قلت لك ليست لعبة .

بدا عليه انكسار عجيب ، جعل دونا تقول :

ـ ولِمَ لا ؟!

هتفت بها (صوفيا) فى غضب :

ـ ماذا تقولين يا دونا ؟!

أشارت دونا بيدها ، قائلة :

ـ ستحتاجين إلى حـارس خاص ، أثنـاء لقـائك مع مستر (زد) .

أجابتها (صوفيا) فى شراسة :

ـ كـلا .

وعنـدما شاهدت الاستنكارعلى وجـه دونا ، استدركت فى صرامة :

ـ حتى لو وافقت أنا ، لن يقبل مستر (زد) بهذا .

انعقد حاجبا دونا فى ضيق ، فتابعت (صوفيا) فى حدة :

ـ أنا وحدى أعلم كيف سيدور الأمر ... وأنا وحدى أتخذ القرار فى هذا الشأن .

قالت دونا فى صرامة :

ـ ورجالى هم من سيقاتلون .

مالت (صوفيا) نحوها ، قائلة فى مزيج من الشراسة والصرامة :

ـ وأنا من سيفتح لهم الطريق .

وفى أعماقها ، ودون أن يفصح لسانها ، اكتملت العبارة :

ـ وأنا من سيفوز بالغنيمة ... وحدى .

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان هذا إيذانًا بخوض الجولة الأخيرة من المعركة ....

الجولة الأكثر حساسية ...

والأكثر خطورة ...

ألف مرة .

* * *

الفصل الثانى عشر

فى توتر ملحوظ ، دفع المفتش (رياض) صورة كبيرة أمام عينى مدير المخابرات العمومية ، فى العالم الموازى ، وعلى الرغم من توقعه رد فعل عنيف ، إلا أن مدير المخابرات ظل هادئًا ، وربما إلى حد مثير للشك ، وهو يلقى نظرة على الصورة ، قائلاً :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

تنحنح المفتش (رياض) ، كعادته كلما شعر بالتوتر ، وقال فى شىء من العصبية :

ــ كنت أنتظر جواب السؤال منكم .

ألقى المدير نظرة أخرى على الصورة ، قبل أن يقول بنفس الهدوء :

ــ وأى جواب تتوقع ؟!

ترك (رياض) العنان لعصبيته ، وهو يقول :

ــ الجواب الصحيح .

Looloo
www.dvd4arab.com

دفع المدير الصورة إليه ، قائلاً فى صرامة :

ــ ابحث عنه فى مكان آخر إذن .

احتقن وجه المفتش (رياض) ، وأخرج من جيبه تلك الورقة الكبيرة ، بما تحويه من كلمات ، ووضعها أمام المدير فى حدة ، قائلاً :

ــ وماذا لو أضفت هذا إلى الصورة ؟!

التهم المدير تلك الكلمات القليلة على الورقة بعينيه فى سرعة ، ثم قال ، دون أن يتخلى عن هدوئه :

ــ سيظل الجواب كما هو .

هتف (رياض) فى عصبية محتدة :

ــ اسمعنى جيدًا يا سيادة الوزير .

ضرب المدير سطح مكتبه براحته ، قائلاً فى صرامة شديدة :

ــ اسمعنى أنت أيها المفتش .

تراجع (رياض) فى دهشة متوترة ، فتابع الوزير بنفس اللهجة :

ــ إنك تتجاوز حدود صلاحياتك على نحو واضح ، عندما تأتى إلى هنا ؛ لتطرح مثل هذه الأسئلة ، وسماحى لك بمقابلتى ، لا تعنى السماح لك بالتدخل فى شئون تفوق حدود منصبك .

تنحنح (رياض) أكثر من مرة ، قبل أن يقول ، فى مزيج من الارتباك والعصبية :

ــ معذرة يا سيادة الوزير ، ولكننى المسئول رسميًا أمام الشعب ، عن ملف مجرم القرن ، و ....

قاطعه المدير ، فى صرامة أكثر :

ــ ونحن مسئولون عن حماية الأمن القومى للبلاد ، ووقتنا لا يسمح بالدخول فى مهاترات كهذه .

تراجع (رياض) ، وهو يقول مصدومًا :

ــ مهاترات ؟!

نهض المدير بحركة حادة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ تشرفت كثيرًا بمقابلتك أيها المفتش

Looloo
www.dvd4arab.com

احتقن وجه (رياض) فى شدة ، ونهض فى عصبية ، وهو يشير إلى الورقة والصورة ، قائلاً :

ــ أهذا يعنى أنكم لا تريدونه ؟!

بدا المدير شديد الصرامة ، وهو يجيب :

ــ لقد حصلنا عليه بالفعل .

اتسعت عينا (رياض) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ــ حصلتم عليه ؟!

كان ينتظر جوابًا ما من المدير ، إلا أن نائب المدير دخل المكتب ، فى هذه اللحظة بالتحديد ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ــ سيارتك تنتظرك يا سيادة المفتش .

ازداد احتقان وجه (رياض) ، وقال بكل توتره ، وهو يتجه إلى خارج المكتب :

ــ على كل الأحوال ، هناك أمر ما تخفونه ، بشأن هذا الأمر .

ثم التفت إلى المدير ، مستطردًا فى حدة :

ــ وأعدكم بأننى سأكشـف ما تخفونه ، حتى ولو كان هذا يتعارض مع الأمن القومى للبلاد .

ظل المدير صامتًا ، حتى غادر نائبه المكان بصحبة (رياض) ، ثم لانت ملامحه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يغمغم :

ــ يمكنك أن تحاول .

وكانت ابتسامته تحمل الغموض ...

كل الغموض ...

* * *

« الهدف يقترب .... » ...

تلقى مستر (زد) تلك الإشارة ، من وحدة الرادار الخاصة ، فى جزيرته الصغيرة ، التى اتخذ منها وكرًا سريًا ، أحاطه بكل سبل التأمين الأحدث فى العالم ، وكل نظم الدفاع شديدة التطور ، وزوّدها بوحدات قتالية ، استقدمها من كل مكان فى العالم ...

وعلى شاشة كبيـرة أمامه ، رأى تلك الهليوكوبتر المدنية تقتـرب من جزيرته ، فضـغط زرًا أمامه ، وهـو يقول بلهجة آمرة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ تبادل معهم شفرة الاتصال .

مضت لحظات ، استمع خلالها إلى نداء خاص متبادل ، بين وحدة الرادار والهليوكوبتر ، قبل أن يرتفع صوت قائد وحدة الرادار ، عبر جهـاز الاتصال المحدود ، وهـو يقول بلهجة عسكرية :

ـ تم التأكد من الهوية .

أجاب فى صرامة :

ـ أبلغ فرقة الأمن (ب) ؛ لاتخاذ اللازم .

كانت الهليوكوبتر تستعد للهبوط على الجزيرة ، عندما ارتفع جزء من شاطئها ، واندفع عبره عشرة رجال مسلحين بمدافع آلية متطورة ، اصطفوا صفين ، وهم يشهرون أسلحتهم فى تحفز ، حتى استقرت الهليوكوبتر على الرمال ، مثيرة عاصفة منها ، قبل أن تهبط منها (صوفيا) ، مرتدية زيًا ينافس نجمات السينما العالمية ، وتوقفت فى هدوء تشعل سيجارتها الرفيعة ، وهى تدير عينيها فى صفى الرجال ، مغمغمة فى سخرية :

ـ مازال مستر (زد) يميل إلى المبالغة !

تقدم منها أحد الرجال ، وأدى ما يشبه التحية العسكرية ، وهو يقول :

ـ الزعيم فى انتظارك يا سيدتى .

تطلعت إليه فى استهتار ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، قائلة :

ـ لا يمكننى الانتظار ...

وفى نفس اللحظة ، التى عبرت فيها ذلك المدخل السرى على الشاطىء ، يحيط بها الرجال ضخام الجثة ، كانت هناك قطعة خشبية قديمة ، من بقايا زورق غارق ، تقترب من الجانب الآخر للجزيرة ، فى الناحية الصخرية منها ...

وما أن بلغت تلك القطعة منطقـة الصخور الوعـرة ، حتى انفصل عنها جسد بشرى ، تحرك فى خفة مدهشة ، ليختفى بين الصخور ، ذات الأطراف الحادة ...

كان هناك ثلاثة من رجال مستر (زد) الأشداء ، يجوبون المنطقة الصخرية بأسلحتهم ، فى تحفز متواصل ، وراح هو يتابع تحركاتهم فى دقـة وصبر ، قبل أن يلتقط صخرة فى حجم

Looloo
www.dvd4arab.com

قبضة اليد ، تلاعب بها بين أصابعه لحظات ، ثم رفع جسده قليلاً ؛ ليلقى بها بكل قوته ، نحو الأشجار ، التى تبعد ثلاثة أمتار فحسب ، عن الرجال الثلاثة المسلحين ...

ومع ارتطام الصخرة بالأشجار ، التفت الرجال الثلاثة نحوهم فى تحفز ....

وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية نحو مصدر الصوت ...

وفى نفس اللحظة ، وثب ذلك الرجل من مكانه ...

وانقض كالفهد ...

أو أن انقضاضته كانت أكثر خفة ...

وأكثر رشاقة ...

وأشد قوة ...

ألف مرة ...

* * *

التقى حاجبا المفتش (رياض) ، فى توتر مشوب بالحذر ، عندما لبى استدعاء رئيسه له ، وفوجئ بذلك الرجل هناك ...

فى مكتب رئيسه ...

كان رجلاً قوى البنيـة ، أنيق الملبس ، مشدود القوام ، استقبله بنظرة ، خُيل إليه أنها اخترقت كيانه كله ....

وربما كان هذا سر توتره ...

وبكل الحذر ، الذى ملأ نفسه ، سأل رئيسه :

ـ تُرى ما سر هذا الاستدعاء العاجل يا سيدى ؟!

زاد من حذره وتوتره أن رئيسه لم يجب سؤاله ، وإنما أشار بيده إلى ذلك الرجل الذى قال فى حزم :

ـ أتعشم أن تكون مستعدًا يا سيادة المفتش ؛ فلابد لنا من التحرك خلال دقيقة واحدة .

ارتفع حاجبا (رياض) بكل الدهشة ، وقفز توتره فى عنف ، وهو يقول :

ـ دقيقة واحدة ؟!... لماذا ؟!... وإلى أين سنتحرك ؟!

أجابه الرجل بنفس الحزم ، وهو يتجه إليه ، ويمسك ذراعه :

ـ ستعلم عندما نصل إلى هناك .

Looloo
www.dvd4arab.com

حاول (رياض) أن يدفع يد الرجل عن ذراعه ، إلا أن الأصابع القوية ، التى كانت تحيط بذراعه لم تنفلت ، والرجل يجذبه نحو الباب ، مكملاً :

ــ الأوامر لدىَّ أن نتحرك فورًا .

مرة أخرى حاول (رياض) مقاومته ، وهو يلتفت إلى رئيسه ، هاتفًا :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!

ومرة أخرى لم يجب رئيسه ...

فقط قلَّب كفيه فى استسلام ، وكأنما يعلن عجزه عن مقاومة ما يحدث ، مما حدا بالمفتش (رياض) إلى أن يسلم قياده لذلك الرجل ، وإن لم يمنعه من سؤاله فى عصبية :

ــ هل تتبع المخابرات العمومية ؟!

لم يحاول الرجل حتى إجابة السؤال ، وهو يقوده إلى آخر مكان توقعه ...

إلى سطح المبنى ...

وفى هـذه المـرة ، لم يحاول (رياض) إلقاء أى سؤال آخر ...

على الإطلاق ....

* * *

حدَّق مستر (زد) فى وجه (صوفيا جريشام) ، فى دهشة مستنكرة ، وأحنقه أن تقف أمامه هادئة ، على الرغم من خطورة ما تقول ، فهتف بها فى غضب :

ــ أى قول أحمق هذا يا (صوفيا) ؟!... لا يوجد أى اتصال ، مباشر أو غير مباشر ، لى مع (أكرم صدقى) هذا .

رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، فى حركة مستفزة ، جعلته يضيف فى حدة :

ــ ثم إنك أخبرتنى أنك قد حصلت على ذلك البرنامج بالفعل .

هزت كتفيها بلا مبالاة ، قائلة :

ــ كانت الوسيلة الوحيدة ؛ لدفعك إلى مقابلتى هنا .

كرَّر فى دهشة :

Looloo
www.dvd4arab.com

— الوسيلة الوحيدة ؟!

ثم صاح بها فى غضب :

— ماذا أصابك يا (صوفيا) ؟! ... المحترفون أمثالنا ، لا يتعاملون بهذا الأسلوب الصبيانى السخيف !

تخلّت عن هدوئها بغتة ، وصاحت فى غضب يفوق غضبه :

— ولكننى تحدثت مع (أكرم صدقى) شخصيًا ، وأخبرنى أنه يجرى تفاوضه معك ، بشأن ذلك البرنامج .

تراجع مستر (زد) فى مزيج من الدهشة والصدمة ، وهو يغمغم :

— تحدثت معه ؟!

أجابته فى حدة :

— أجـل .

انعقد حاجباه ، وهو يسألها متوترًا :

— ولكنك أكدت أنك تسيطرين على عقله تمامًا !

قالت فى عصبية :

— كنت أتصور هـذا ، ولكنه استخدم قوة إرادته ، لمقاومة تأثير تلك الشريحة الرقمية ، التى زرعناها فى رأسه .

كرَّر مرة أخرى ، فى دهشة مستنكرة :

— قوة إرادته ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، وهو يقول فى صرامة ، اكتست بشىء من العصبية :

— لا دور لقـوة الإرادة هنا يا (صوفيا) ... إنها سيطرة فيزيقية بحتة ، من الشريحة إلى خلايا المخ مباشرة .

أورثها هذا القول المزيد من العصبية ، فقالت ، محاولة إشعال واحدة من سجائرها الرفيعة :

— ولكنه تخلص من التأثير على نحو أو آخر .

اتجه نحوها ، وهو يلتقط شيئًا ما من سطح مكتبه ، قائلاً :

— مستحيل .

تراجعت فى حذر ، وهو يكمل متجهًا إليها بذلك الشىء :

— لا يمكنه التخلص من تأثير تلك الشريحة ، دون مقاومة .

Looloo www.dvd4arab.com

واصلت تراجعها ، فصاح بها بكل صرامة :

ــ توقفى .

قاومت توترها ، وهى تقف فى مكانها ، فرفع هو ذلك الشىء ، الذى يمسك به ، ومرره أمامها لحظة ، فأضىء مصباح صغير أحمر فى قمته ، مطلقًا أزيزًا تسمعه بالكاد ، مما جعل مستر (زد) يقول فى شراسة :

ــ من عاونك على ارتداء ثيابك هذه يا (صوفيا) ؟!

ولم تجب (صوفيا) ، ولكنها فهمت ...

واشتعل كيانها كله بالتوتر ...

بلا حدود .

* * *

الفصل الثالث عشر

« ما هذا بالضبط ؟!... » ...

قالها مراقب الرادار ، فى جزيرة مستر (زد) الصغيرة ، وهو يحدّق فى شاشة الرادار ، التى ظهرت عليها عدة نقاط صغيرة متناثرة ، تتحرك كلها فى اتجاه الجزيرة ، فمال رئيسه يلقى نظرة على الشاشة ، مغمغمًا فى دهشة متوترة :

ــ لم أرصد شيئًا كهذا ، من قبل قط .

قال مراقب الرادار فى حيرة :

ــ الصورة التى تعطيها ، توحى بأنها أجسام معدنية ، ولكنها أصغر من أن تكون طائرات .

قال رئيسه فى اهتمام :

ــ وحركتها المنتظمة تؤكد أنها أجسام موجهة .

التفت إليه مراقب الرادار ، متسائلاً فى قلق :

ــ هل نقوم بتشغيل نظام الدفاع الجوى ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت رئيسه لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

ـ صواريخ الدفاع الجوى لن تكون فعالة ، مع أجسام بهذا الصغر ... نحتـاج إلى تفعيـل درع الليزر ؛ فلا شىء يمكنه اختراقه ، عندما يحيط بالجزيرة .

صمت لثوانٍ أخرى ، ثم أضاف فى حزم متوتر :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى قرار من الزعيم شخصيًا :

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان مستر (زد) ينتزع جهاز تعقب دقيق ، فى حجم رأس الدبوس ، من ثياب (صوفيا) ، وهو يقول فى غضب :

ـ هل تجلبينهم إلى وكرى السرى يا (صوفيا) ؟!

حدّقت (صوفيا) فى ذلك الجهاز الدقيق ، الذى يمسكه بين سبابته وإبهامه ، وهى تهتف :

ـ جلبت من ؟!... وما هذا الشىء ؟!... وكيف وصل إلى ثيابى ؟!..

رفع الجهاز الجديد إلى وجهها ، وهو يقول فى شراسة :

ـ المفترض أن تجيبى أنتِ هذه الاسئلة يا (صوفيا) .

انعقد حاجباها الجميلان فى شدة ، وهى تستعيد كل ما مر بها ، منذ استعدت للقدوم إلى جزيرة مستر (زد) ...

ثم توقفت أفكارها عند حدث بعينه ...

حدث واحد ...

(ريكو) وهو يتشبث بثيابها ...

وعند هذا الحدث ، اتسعت عيناها ، وهى تقول مشدوهة :

ـ مستحيل !

قبل أن تسمع رد فعل مستر (زد) ، ارتفع صوت رئيس قسم الرادار ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، فى مكتب مستر (زد) ، وهو يقول ، فى لهجة توحى بخطورة الأمر :

ـ سيدى .... نحتاج إلى تفعيل درع الليزر فورًا .

عض مستر (زد) شفته السفلى فى غضب ، وهو يندفع نحو جهاز الاتصال الخاص ، هاتفًا :

ـ ماذا يحدث عندك ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

نقل إليه رئيس قسم الرادار الصورة ، فى كلمات موجزة سريعة ، قبل أن يضيف فى توتر ملحوظ :

ــ تلك الأجسام الصغيرة تقترب فى سرعة أيها الزعيم ، ولابد من تفعيل درع الليزر ، قبل فوات الأوان .

صاح به مستر (زد) فى انفعال :

ــ وماذا تنتظر ؟!

أنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى (صوفيا) فى شراسة ، هاتفًا :

ــ أنتِ المسئولة عن هذا .

تجاهلت ثورته ، وهى تندفع نحو شاشة كبيرة فى مكتبه ، قائلة :

ــ فلندع الحديث عن مسئولية الحدث لما بعد ... المهم الآن أن نعرف من يهاجمنا بالضبط .

هتف فى عصبية ، وهــو يضغط أزرار تفعيــل كل دفاعات الجزيرة :

ــ أيًا كان من يهاجمنا ، فهو غير قانونى ... الجزيرة تقع فى المياه الدولية ، بعيدًا عن كل خطوط الطيران والملاحة ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ــ وهل تعتقد أنهم يبالون بهذا ؟!

اعتدل يقول فى وحشية :

ــ حتى وإن تجاهلوا كل القواعد ... هذه الجزيرة تحوى من الدفاعات ، ما لا تمتلكه بعض الدول فعليًا ، ومــن يفكر فى مهاجمتها ، يقود نفسه إلى انتحار حقيقى ، ....

قبل أن يُتم عبارته ، قاطعه هذه المرة أمر آخر تمامًا ....

انفجار ...

انفجار قوى ، هزَّ كل أركان الجزيرة ...

وارتجَّت معه حجرة مكتبه المنيعة ....

بمنتهى العنف ...

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

فى خفة مدهشة ، تحرك ذلك الرجل ، مرتديًا زى أحد رجال الحراسة ، الذين صرعهم عند الجانب الصخرى للجزيرة ...

وفى جرأة أكثر إدهاشًا ، اتجه نحو قائد الحراسة ، الذى يقف مع خمسة من رجاله ، عند المدخل الخفى للمقر ، فالتفت إليه القائد ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ماذا تفعل هنا ؟!... لا ينبغى أن تترك موقعك ، دون أمر مباشر .

رفع الرجل سبابته إلى شفتيه ، مشيرًا له بالصمت ، ثم رفع سبابته إلى السماء ، وكأنه يلفت انتباهه إلى شىء ما ...

وبحركة غريزية ، رفع القائد ورجاله الخمسة رءوسهم إلى أعلى ، بحثًا عما يشير إليه ...

وقبل أن تنخفض رءوسهم ، كان الرجل قد انقض ...

ولم يستغرق القتال سوى عشر ثوانٍ فحسب ...

فالرجل كـان يتحرك فى سرعـة خرافية ، ويوزع لكماته وركلاته على الرجـال الستة ، فى قوة وعنف ، قبل حتى أن يتبينوا طبيعة ما يحدث ...

وعندما توسد الرجال الستة رمال الجزيرة فاقدى الوعى ، تحرك الرجل بنفس السرعة ...

كان يعلم أنهم لم يجتمعوا لحراسة أكوام من الرمال ...

هناك حتمًا شىء ما هنا ...

حيث كانوا يقفون ...

وبعينين خبيرتين ، راح يفحص الرمال من حوله فى سرعة ودقة ...

ثم التقطت عيناه ما يبحث عنه ...

انتظام غير طبيعى للرمال ، فى منطقة بعينها ...

انتظام يشف عما تخفيه ...

أسرع يتحسس تلك المنطقة ، قبل أن يكشف ذلك الغطاء المعدنى أسفلها ، والمغلق فى إحكام شديد ...

ولأنه خبير فى مثل هذه الأمور فقد كشف ، فى سرعة ، أن ذلك الغطاء هو مدخل المقر السرى لمستر (زد) ، الذى يتخذ من قلب الجزيرة وكرًا له ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى نفس اللحظـــة ، التى كشف فيها هـــذا ، بدأ درع الليزر عمله ...

غلاف أشبه بقبة كاملة من أشـــعة الليزر ، تألق فجأة حول الجزيرة ، ليصنع درعًا منيعًا ، يستحيل اختراقه ....

درع قادر على سحق كل جسم يقترب من الجزيرة ، لمسافة خمسمائة متر ...

وانعقد حاجبا الرجل ، وهو يلتفت إلى المشهد المخيف ...

وفى نفس اللحظة ، كانت الأجسام المعدنية الصغيرة تقترب فى سرعة ، من درع الليزر ...

وما أن لمسته ، حتى تلاشت كلها فى لحظة واحدة ، تاركة عشرات البقع المضيئة ، فى درع الليزر ...

وانعقـــد حاجبا الرجـــل ، وهو يشاهد هذا ، قبل أن يخفض عينيـــه إلى تلـــك الهليوكوبتر ، التى مازالت تقـــف على بعـــد أمتار من المدخـــل السرى للوكـــر ، وبداخلهـــا يجلس قائدها صـــامتًا ...

والتقت نظرات الرجلين لحظة ، قبل أن يغادر قائد الهليوكوبتر طائرته ، ويقـــف إلى جوارهـــا ، متطلعًا إلى الرجل بدوره فى صمت ...

ولثوانٍ بدا وكأن المشهد قد تجمد عند هذه الصورة ...

الرجلان ثابتان ، يتطلع كلاهما إلى الآخر فى صمت ...

ثم ، وفى هدوء ، مد الطيار يده أسفل مقعد قيادة الهليوكوبتر ، وانتزع حزامًا كبيرًا ، يحزى عدة جيوب منتفخة ...

وبعدها بأقل من دقيقة واحدة ، دوى ذلك الانفجار ، الذى رج مكتب مستر (زد) رجًا ...

وبمنتهى العنف ...

* * *

« إلى أين نتجه بالضبط ؟!.... » ...

ألقى المفتش (رياض) سؤاله فى عصبية ، والهليوكوبتر التى يجلس داخلها ، وإلى جواره ذلك الرجل ، الذى اصطحبه من مكتب رئيسه ، والذى أجاب فى اقتضاب :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إلى حيث تنتهى المهمة .

سأله فى عصبية أكثر :

ـ أية مهمة ؟!

صمت الرجل لحظات ، ثم التفت إليه ، قائلاً :

ـ ألست المسئول رسميًا ، عن ملف مجرم القرن ؟!

امتزجت عصبية (رياض) بدهشته ، وهو يقول :

ـ وما شأن هذا بتحليقنا فوق المحيط ؟!

عاد الرجل ينظر إلى الأمام ، مجيبًا بنفس الاقتضاب :

ـ هناك ستنتهى العملية .

انعقد حاجبا المفتش (رياض) ، وهو يقول فى حدة :

ـ أية إجابة هذه ؟!...

ثم انتفض جسده فى عصبية زائدة ، هاتفًا :

ـ ولماذا كل هذا الغموض ؟!

أجابه الرجل ، دون أن يلتفت إليه :

ـ الغموض أساس عملنا .

تراجع (رياض) بكل دهشته ، وهو يقول مبهوتًا :

ـ أتعنى أنك ...

قاطعه الرجل فى صرامة :

ـ يمكنك أن تدعونى بالاسم الذى يروق لك .

ثم استدار إليه ، مضيفًا بنفس الصرامة :

ـ وأيًا كان الاسم ، الذى لا يعنى شيئًا ، فى مثل هذا الموقف ، فيكفى أن تعلم أننا نعمل على الملف نفسه .

غمغم (رياض) ، وهو يتنحنح فى انفعال :

ـ أنتم ؟!

أجابه الرجل بكل الحزم :

ـ نعم ... نحن أيها المفتش ... كلانا يعمل من أجل الوطن كما تعلم .... الفارق الوحيد ، هو أننا نعمل على نحو مختلف .

قالها ، وهو يشير بيده خارج الهليوكوبتر ، فاستدار (رياض) بحركة تلقائية إلى حيث يشير ...

Looloo
www.dvd4arab.com

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وجسده ينتفض من فرط الدهشة ...

فما رآه من حوله ، كان يفوق أقصى ما يمكنه تخيله ... على الإطلاق ...

* * *

قبل حتى أن يتلاشى دوى الانفجار ، ارتفع صوت آلى ، فى حجرة مكتب مستر (زد) ، يقول على نحو متكرِّر :

ـ دخول غير مشروع ... دخول غير مشروع .

وأعقبه صوت مراقب الأمن ، يهتف فى انزعاج شديد :

ـ مدخل المقر تم نسفه أيها الزعيم .... إننا نتعرض لهجوم .

امتقع وجه مستر (زد) ، وهو يصرخ :

ـ مستحيل !

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الخاص ، وهو يهتف بكل انفعاله :

ـ كيف حدث هذا أيها الأغبياء ؟!.... وأين أطقم الحراسة الخارجية ؟!

أجابه مراقب الأمن ، وقد استحال انزعاجه إلى خوف واضح :

ـ لا أحد منهم يجيب أيها الزعيم .... أخشى أنه ربما .... ربما ...

لم يستطع إتمام عبارته ، فهتف مستر (زد) :

ـ ادفع كل الرجال لديك لصد ذلك الهجوم ، الذى لست أدرى كيف وصل من يشنونه إلى هنا ... وماذا عن درع الليزر ؟!

أجابه الرجل فى اضطراب :

ـ مازال يعمل بكفاءة أيها الزعيم .

صاح مستر (زد) فى توتر صارم :

ـ قم بتصفية الهجوم الداخلى إذن ... وبأى ثمن .

أنهى الاتصال ، والتفت إلى (صوفيا) ، مواصلاً بنفس التوتر ، الذى اكتسب رنة شرسة :

ـ أنتِ فعلتِها يا (صوفيا) .

صاحت به بدورها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل جننت يا (زد) ؟!... إنها خدعة ... خدعة لست أدرى كيف صنعوها !!... من المؤكد أنهم قاموا بتجنيد (ريكو) الحقير .

صاح بها ، وهو يسحب مسدسه :

ـ هذا لو أنه بالفعل (ريكو) .

صرخت فى انفعال :

ـ لا يمكن أن يكون سوى هذا ... شخص واحد ، فى الكون كله ، يمكنه أن ينتحل هيئة ما بهذا الإتقان ، ولقد تحدثت إليه هاتفيًا بنفسى ، و (ريكو) على قيد خطوة واحدة منى .

رفع مسدسه نحوها ، صائحًا :

ـ هراء .... لقد خنتنى يا (صوفيا) ...

وفى مكتب مستر (زد) دوت رصاصة أصابت هدفها ...

بمنتهى الدقة .

* * *

الفصل الرابع عشر

« ولكن كيف ؟! .... » ...

هتف المفتش (رياض) بالعبارة ، وهو يدير عينيه بين عشرات مـن طائرات الهليوكوبتر ، تنطلق فى نفس مسـار الهليوكوبتر التى يستقلها ، مع رجل المخابرات العمومية ، الذى أجاب فى صرامة :

ـ لست مخولاً بإجابة مثل هذا السؤال .

عاد (رياض) يهتف فى حدة :

لماذا كل هذا التكتم ؟!

أدار الرجل عينيه إليه فى بطء ، مجيبًا بنفس الصرامة :

ـ لأننا هكذا نعمل .

ثم اعتدل مرة أخرى ، مضيفًا :

ـ طوال الوقت .

Looloo
www.dvd4arab.com

صـمت (رياض) بضع لحظـات محتقنًا ، قبل أن يسأل فى حذر :

ـ تستعدون لشن هجوم شامل ؟!

أجابه الرجل :

ـ بالتأكيد .

حـاول (رياض) أن يصمت مـرة أخرى ، إلا أنه عجز عن هذا ، فتساءل فى توتر :

ـ ولهذا علاقة بمجرم القرن ؟!

صمت رجل المخابرات لحظات ، ثم أجاب فى بطء :

ـ لماذا أنت هنا إذن ؟!

هتف (رياض) معترضًا :

ـ هذا ليس جوابًا .

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ بل هو كذلك .

تراجع (رياض) فى مقعده ، وعقد ساعديه أمام صدره فى قوة ، وهو يعـاود التطلع إلى سرب طائرات الهليوكوبتر من حوله ، وهو يتساءل فى أعماقه :

هل يحتاج الظفر بمجرم القرن ، إلى شن حرب كاملة ؟!...

أم أن هناك سرًّا آخر ، خلف كل هذا ؟!...

راح التساؤل يعربد فى أعماقه فى عنف ، ولكن ...

بلا جواب ...

على الإطلاق ...

* * *

راجع نائب مدير المخـابرات العموميـة ، كل ما أمامه من تقارير ، ثم رفع عينيه إلى المدير ، قائلاً فى قلق واضح :

ـ لم تنجـح قنبلة طائرة واحـدة ، فى الوصول إلى جزيرة مستر (زد) .

رفع المدير عينيه إليه فى قلق ، متسائلاً :

ـ والسبب ؟!...

Looloo
www.dvd4arab.com

هزَّ النائب رأسه ، قبل أن يجيب :

ـ إنهم يحيطون الجزيرة بدرع ما ، تنفجر عليه كل الاجسام ، التى تقترب من الجزيرة ، لمسافة نصف الكيلو متر .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ وما رأى خبرائنا فى هذا ؟!

التقط النائب أحد التقارير ، وراح يقرأه بصوت مسموع :

ـ يرجحون أنه درع من الليزر ، يحيط الجزيرة على شكل كرة تامة الاستدارة ، بحيث يستحيل أن تصل إليها قطعة بحرية ، أو تحت مائية ، أو أية مقاتلة جوية .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يغمغم :

ـ سيمزقهم درع الليزر تمزيقًا ، دون حتى أن يدركوا أنهم يعبرونه .

تراجع المدير فى مقعده أكثر ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه مفكرًا بضع لحظات ، قبل أن يعتدل ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ مرَّ الرجال بعدم الاقتراب من الجزيرة ، لمسافة ستمائة متر ، حتى يصدر إليهم الأمر بالهجوم .

تطلع إليه نائبه ، وسؤال متردد يطل من عينيه ، فأضاف المدير ، مجيبًا سؤاله ، الذى لم ينطقه :

ـ وسنصدر الأمر بالهجوم ، فور تلقينا الإشارة .

ثم اعتدل مردفًا فى حزم :

ـ من داخل الجزيرة .

وهنا أطل من عينى النائب ألف سؤال ...

على الأقل ...

* * *

أغلقت (صوفيا) عينها فى قوة ، وجسدها ينتفض فى عنف ، متصورة أن ما سمعته هو صوت رصاصة مستر (زد) ، التى أطلقها نحوها ...

ولكنها لم تشعر فى جسدها بأية آلام ...

Looloo
www.dvd4arab.com

كـل ما شعرت به وسمعته ، هـو صرخة ألم أطلقهـا مستر (زد) ، مع صرخته ، التى تجمع ما بين الصدمة والذعر والذهول :

ـ مستحيل !!

فتحت عينيها فى سرعة ، وشاهدت مستر (زد) يتراجع فى ذعر ، ومسدسه ملقًى أرضًا ، وقد أصابته رصاصة ، حطَّمت جزءًا من مقبضه ، وهو يحدِّق فى شىء ما خلفها ، فالتفتت فى سرعة ، إلى حيث ينظر ...

وتراجعت بدورها فى عنف ، وهى تكرِّر كلمة مستر (زد) :

ـ مستحيل !

كانت تحدِّق مباشرة فى (أكرم صدقى) ، الذى يصوِّب إليها وإلى مستر (زد) مدفعًا آليًّا ، ويقول فى سخرية :

ـ مفاجأة .... أليس كذلك ؟!

حدَّقت فيه ذاهلة ، ومستر (زد) يهتف مرتجفًا :

ـ أنتِ السبب يا (صوفيا) ... أنتِ جلبتِه إلى هنا .

استدارت إليه بكل حنقها ، صارخة :

ـ اصمت أيها الغبى المتعجرف .

ثم التفتت مرةً أخرى إلى (أكرم) ، الذى هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ إنه لم يخطئ يا (صوفيا) .. أنتِ جلبتِنى إلى هنا بالفعل .

كررت فى حنقٍ عصبى :

ـ مستحيل !

هزَّ (أكرم) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

ـ ليس مستحيلاً كما تتصورين ... انتِ جَلَبْتِنى إلى هنا ، عندما قدت بك الهليوكوبتر بنفسى ، إلى الوكر السرى لمستر (زد) ، والذى عجزنا عن كشفه لسنوات .

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

ـ الهليوكوبتر ؟!... ولكن هذا مستحيل ! ... قائد الهليوكوبتر هو أقرب رجالى إلىَّ ، وأكثرهم إخلاصًا ، و ...

قاطعها ، وهو يقول ، مقلِّدًا صوت الطيار بدقة بالغة :

ـ إلى أين هذه المرة أيتها الزعيمة ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

اتسعت عينا (صوفيا) ، وهى تغمغم ذاهلة :

ـ ولكن كيف ؟!

هزّ كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ لا ريب فى أنك قد أدركت ، بذكائك المعهود ، أننى كنت أنتحل هيئة ذلك الخرتيت (ريكو) ، عندما حاولت استجوابى فى (روما) .

انعقد حاجبا مستر (زد) ، وهو يتراجع فى حذر ، نحو لوحة الأزرار الكبيرة ، على سطح مكتبـه ، فى حيـن غمغمت وهى مبهوتة :

ـ ولكن اختبار كشف الكذب ...

أشار بيده اليسرى ، قائلاً :

ـ كان هذا أسهل جزء فى اللعبة يا عزيزتى (صوفيا) ، فجهاز كشف الكذب ما هو إلا جهاز رقمى ، يعتمد على التغيرات الفسيولوجية لدى من يتم استجوابه ... وتلك التغيرات تحدث بسبب توتره ، وخشيته من افتضاح أمره ... ولكن حتى رجال (المارينز) مدربين على خداع هـذا الجهاز .... ولعل هذا

ما جعله غير معتمد ، كوسيلة لإثبات الجريمة ، فى كل المحاكم العالمية(*) .

قالت فى توتر ، يموج بالشك :

ـ ولكننى تحدثت إليك شخصيًا ، و(ريكو) يرقد على قيد خطوات منى ، فكيف ...

مال قليلاً ، وهو يقول فى خبث :

ـ سأترك هذا لخيالك يا عزيزتى (صوفيا) .

اقترب مستر (زد) من لوحة الأزرار أكثر ، وهو يقول فى توتر :

ـ هل سنضيع الوقت فى هذه الترهات ، دون أن تخبرنى : لماذا أنت هنا يا مستر (أكرم) ؟!

مال (أكرم) بفوهة مدفعه إلى أعلى ، وهو يجيب :

ـ أى سؤال هـذا يا مستر (زد) الشهير ؟!... إننى هنا للتفاوض بالطبع .

(*) حقيقـــة .

Looloo
www.dvd4arab.com

راحت يد مستر (زد) تزحف فى حذر من خلف جسده ، نحو لوحة الأزرار ، وهو يسأل :

ــ التفاوض بشأن ماذا ؟!

أطلق (أكرم) ضحكة عالية ساخرة ، قائلاً :

ــ وتتحدث عن الهراء ؟!.... إننى هنا ؛ للتفاوض بشأن ذلك البرنامج الدفاعى يا رجل .

تحول غضب وذهول (صوفيا) إلى نوع من الشراسة ، وهى تقول :

ــ تقصد برنامجى .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ــ منذ متى ؟!

هتفت ، كنمرة شرسة :

ــ منذ قررت الحصول عليه .

بدا أكثر شراسة منها ، وهو يقول :

ــ ولكنك لم تحصلى عليه .

صرخت ثائرة :

ــ لأنك خدعتنى .

قال فى صرامة شرسة :

ــ وبهذا صار ملكى أنا .

تراجعت بوجه محتقن ، وغمغمت بكل مقت الدنيا :

ــ كان ينبغى أن أقتلك ، وأنت فى هيئة (ريكو) ؟!

ضحك قائلاً :

ــ لقد حاولت إقناعك باصطحابى إلى هنا ، فى هيئة (ريكو) ، ولكنك رفضت هذا ، فرأيت أنه من الأفضل أن أنتحل هيئة طيارك الخاص .

ثم ارتفع صوته ، واكتسب قساوة وصرامة ، وهو يضيف ، دون أن يرفع عينيه عنها :

ــ الأفضـــل أن تتوقف أصابعك عند هـــذا المستوى يا مستر (زد) ؛ فلو أنك ضغطت زرًا واحدًا ، من لوحة أزرارك ، ستكتسب فى اللحظة نفسها ثقبًا خاصًا ، فى منتصف جبهتك .

Looloo
www.dvd4arab.com

أبعد مستر (زد) أصابعه عن لوحة الأزرار بحركة غريزية ، وهو يقول فى عصبية :

ــ ملفك يقــول : إنك لا تقدم على القتل قط ، فى غير ظروف الدفاع عن النفس ...

غمغمت (صوفيا) فى مقت :

ــ هذا صحيح .

أطلق (أكرم) ضحكة عالية ساخرة ، قبل أن يستعيد صرامة صوته وقسوته ، وهو يقول :

ــ أظنكما تتحدثان عن ذلك الأحمق الذى كنته ، والذى كان يهدر كل قدراته وإمكاناته وطاقاته ، من أجل مبادئ وقيم ، لا تُسمن ، ولا تشبع من جوع .

دست (صوفيا) يدها ، فى جيب سترتها الأنيقة ، وهى تقول :

ــ إذن فكل ما يشغل (أكرم صدقى) الجديد الآن هو المال .

أجابها فى رصانة عجيبة :

ــ لا .... ليس مجرد المال .

ثم أضاف فى شراهة :

ــ بل الكثير منه ... والكثير جدًّا .

فوجئ بها مستر (زد) تتماسك فجأة ، وهى تقول فى صرامة :

ــ وما أدراك أنه ليست لدىَّ خطة بديلة .

عاد يطلق ضحكته الساخرة العالية ، قبل أن يقول ساخرًا :

ــ لو أنك تشيرين إلى خطة تحالفك مع دونا (كاترينا) ، فأنصحك أن تحذفيها مــن عقلك تمامًا ؛ فالبــلاغ الذى تلقته المخابرات الإيطالية بشأنها ، ستجعلها ورجالها منشغلين بمحاولة تبرئة أنفسهم ، لشهر على الأقل .

بدت شديدة القسوة والصرامة ، وهى تقول :

ــ ليس هذا ما كنت أقصده بالخطة البديلة .

وأخرجت يدها من جيب سترتها ، وهى تحمل ما يشبه الهاتف المحمول ، ضغطت زرًا كبيرًا فيه ، وهى تضيف :

ــ بل هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ارتدّ (أكرم) بحركة عنيفة ، وأمسك جانبى رأسه بكل قوته ، وحملت ملامحه آلامًا رهيبة ، وهـو يفلت مدفعـه الآلى ، الذى سقط أرضًا ...

وقبل أن يرتطم بالأرض ، وثبت (صوفيا) نحوه ، وثبة رشيقة طويلة ؛ لتركل (أكرم) فى وجهه مباشرة ...

وبمنتهى منتهى العنف .

* * *

الفصل الخامس عشر

اتسعت عينا مستر (زد) فى دهشة ، عندما انهار (أكرم) أمام (صوفيا) ، التى وثبت نحوه فى حركة سريعة رشيقة ، لتركله فى وجهه بمنتهى منتهى العنف ...

ولكن دهشته هذه لم تلبث أن تحولت إلى ذهول ، عندما اعتدل (أكرم) فجأة فى رشاقة وحيوية مدهشتين ، وأمسك قدم (صوفيا) ، قبل أن تبلغ وجهه ، وهو يقول ساخرًا :

ـ هل تصورت الأمر بهذه البساطة ؟!

فقدت توازنها ، مع المفاجأة وعرقلة حركة قدمها ، فسقطت أرضًا ، مطلقة سبابًا غاضبًا ساخرًا ، فى نفس اللحظة التى استعاد فيها (أكرم) سلاحه بحركة سريعة ، وهتف فى مستر (زد) فى قسوة :

مازال عرضى ساريًا .... المس زرًا ، أمنحك ثقبًا .

هتفت (صوفيا) فى غضب شديد التوتر :

ـ مستحيل !... لا يمكنك أن تقاوم إشارة الجهاز .

Looloo
www.dvd4arab.com

تحركت يـده فى سرعة ؛ لتنتزع منها ذلك الجهاز ، الشبيه بالهاتف المحمول ، فقاومته هى فى عنف ، صارخة :

ـ إننى أفضل الموت .

جذبه من بين أصابعها ، فى قوة عجزت عن مقاومتها ، وهو يقول :

ـ ولكننى أريدك على قيد الحياة .

وألقى نظرة سريعة على الجهاز ، قبل أن يدسه فى جيبه ، مضيفًا :

ـ بهذا نكون قد حصلنا على سلاح جديد .

حاولت أن تنهض ، وهى تقول فى عصبية شديدة :

ـ تكونون ؟!... من تقصد بصيغة الجمع هذه ؟!

أضيئت الشاشة الكبيرة فى حجرة مستر (زد) ، قبل أن يجيب سؤالها ، وظهر عليها وجه مسنول أمنه ، وهو يهتف فى انهيار :

ـ كل دفاعاتنا تم تدميرها يا مستر (زد) ... ذلك الشيطان المصرى دمر كل شىء ... لم يعد لدينا سوى درع الليزر ، ووحدك تملك التحكم فيه .

انعقد حاجبا (صوفيا) فى شدة ، فى حين هتف مستر (زد) فى انفعال بالغ :

ـ أى شيطان مصرى تقصد ؟!.. الشيطان المصرى الوحيد الذى أعرفه ، يقف أمامى هنا .

انبعث صوت ساخر من مدخل الحجرة ، يقول :

ـ إنه يقصدنى أنا .

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى (أكرم) ، فى حين التفت مستر (زد) و(صوفيا) إلى مدخل الحجرة ، فى حركة سريعة ، ارتدت (صوفيا) بعدها مصعوقة ، وهاتفة :

ـ مستحيل !

أما مستر (زد) ، فقد فغر فاه فى ذهول ، وعجز لسانه عن النطق تمامًا ...

فما رأياه أمامهما كان مذهلاً ...

Looloo
www.dvd4arab.com

بكل المقاييس ...

* * *

« ماذا ننتظر ؟! ... » ...

غمغم المفتش (رياض) بالسؤال فى عصبية ، فأجابه رجل المخابرات العمومية فى هدوء ، ودون أن يلتفت إليه :

ـ الإشارة .

سأله فى توتر :

ـ أية إشارة ؟!

أشار رجل المخابرات بسبابته ، مجيبًا :

ـ الإشارة التى تعلن أن الاستمرار قد صار آمناً .

عاد يسأله ، فى توتر أكثر :

ـ ومن أين ستأتى تلك الإشارة ؟! ... من القيادة ؟!

صمت رجل المخابرات لحظات ، وكأنما يدرس ما إذا كان ينبغى له أن يجيب أم لا ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، وأشار بيده ، مجيبًا :

ـ بل من قلب جزيرة مستر (زد) .

اتسعت عينا (رياض) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ مستر (زد) ؟!... زعيم الإرهاب العالمى الشهير ؟! ... أنحن بصدد الهجوم على مقره الآن ؟!

ابتسم الرجل ، دون أن يجيب ، فهتف (رياض) فى انبهار :

ـ هل نجحتم فى تجنيد شخص ما بين صفوفه ؟!

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يجيب فى بطء :

ـ بل فعلنا ما هو أكثر براعة من هذا .

والتفت إليه بنفس البطء ، مضيفًا :

ـ لقد استعنا بملفك .

انعقد حاجبا (رياض) ، وهو يغمغم :

ـ ملفى ؟!... ماذا تعنى يا رجل ؟!

قفز الجواب فجأة إلى رأسه ، فعادت عيناه تتسعان ، وهو يهتف :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هل تعنى ؟!...

اتسعت ابتسامة الرجل أكثر ، وهو يجيب :

ــ بالضبط .

لحظتها فقط ، أدرك (رياض) مع من يتعامل بالضبط ...

وتضاعف انبهاره ...

ألف ألف مرة ...

* * *

لم يكن من السهل أبدًا ، أن يستوعب مستر (زد) ، أو تستوعب (صوفيا جريشام) ما رأياه أمامهما ...

ففى منتصف الحجرة ، كان (أكرم صدقى) يصوب إليهما سلاحه ...

وعند مدخل الحجرة ، كان (أكرم صدقى) يقف مبتسمًا فى سخرية ، حاملاً سلاحًا آخر ... وفى حين انعقد لسان مستر (زد) تمامًا ، غمغمت (صوفيا) فى بطء ذاهل :

ــ أحدكما زائف ولا شك .

تقدم (أكرم) ، الذى جاء مؤخرًا ، نحوهما وهو يقول :

ــ الواقع أن كلينا حقيقى تمامًا يا عزيزتى (صوفيا)

هتفت فى ذهول :

ــ مستحيل !... لا بد أن يكون أحدكما زائفًا !

قال (أكرم) الآخر ، الذى يصوّب إليهما سلاحه منذ البداية :

ــ قلت لك : سأترك هذا لخيالك .

انتفض جسدها فى عصبية شديدة ، وهى تهتف :

ــ لست ساذجة ؛ لتحاول إقناعى بأنكما نسختان من رجل واحد !

واصل (أكرم) تقدمه نحوها ، وتجاوزها فى هدوء ، وهو يقول ساخرًا :

ــ لا أحد يحاول إقناعك .

تسللت أصابع مستر (زد) مرة أخرى فى حذر متوتر ، نحو لوحة الأزرار ، وهو يغمغم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إنها على حق يا رجل ... هذا يستحيل أن يحدث ، ولا حتى فى أفلام الخيال العلمى .

اتجه إليه (أكرم) مباشرة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هل تريد لمحة من عالم الواقع ؟!

قالها ، ثم تحرك فى خفة مدهشة ، وكال لمستر (زد) لكمة كالقنبلة ، فى أنفه مباشرة ، أطاحت بزعيم الإرهاب العالمى لثلاثة أمتار كاملة ، ليرتطم بالجدار قبل أن يسـقط أرضًا فاقدًا الوعى ...

وبكلمات هادئة ، ابتسم (أكرم) الآخر ، وهو يقول :

ـ أحسنت ... كم أتمنى لو استطعت فعل هذا ، بمستر (زد) عالمى .

اتسعت عينا (صوفيا) مرة أخرى ، وهى تغمغم ذاهلة :

ـ عالمك ؟!... ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابها (أكرم) العالم الآخر ، دون أن يلتفت إليها :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .

ثم تبادل نظرة وابتسامة مع قرينه ، قبل أن يضيف :

ـ إنها مسألة أمن قومى .

ومد سبابته نحو أحد الأزرار ، سائلاً (أكرم) عالمنا :

ـ هل تسمح لى ؟!

أشار إليه (أكرم) عالمنا بيده ، مجيبًا :

ـ هذا حقك ... إنه عالمك .

اتسعت ابتسامة (أكرم) العالم الآخـر ، وضغط زر درع الليزر ...

ثم أطلق الإشارة ...

وبدأ الهجوم ...

* * *

فى انبهار شديد ، وقف المفتش (رياض) ، ينقل بصره بين (أكرم) و(أكرم) ، فى حجرة مدير المخابرات العمومية ، قبل أن يهتف :

ـ إذن فكل هذا كان مدبَّرًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ابتسم الأكرمان ، فى حين قال مدير المخابرات فى رصانة :

ـ كان مـن الضرورى إقنـاع مستر (زد) ، ومن قبله (صوفيا جريشام) ، بأن قاهر المستحيل قد تحول إلى مجرم القرن ، كما أرادا وخططا ، ولكن الواقع أن (أكرم) ... وأقصد (أكرم) عالمنا بالطبع ، قد أدرك منذ البداية أن أحدهم يعبث بعقله ، وكان من الطبيعى ، والحـال هكذا ، أن يلجأ إلى القسم الفنى هناك ؛ لعلاج هذه المشكلة .

قال (رياض) مبهورًا :

ـ وانتزعتم أنتم تلك الشريحة الرقمية من مخه ...

ابتسم مدير المخابرات ، وأشار إلى نائبه ، الذى أجاب :

ـ الواقع أن الوحيد ، الذى كانت لديه الكفاءة ليفعل هذا ، دون أن يفشى السر ، هـو شقيقه ، أسـتاذ جراحـة المـخ والأعصاب (أيمن صدقى) .

قال (رياض) فى لهفة :

ـ المهم أنكم قد انتزعتموها .

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ انتزعناها ، ووضعناها داخل هاتفه ، بحيث يصدر ذبذبة خاصة ، كلما استخدمت (صوفيا) جهاز التحكم عن بعد ، حتى يتمكن (أكرم) من أداء دوره جيدًا .

قال (رياض) ، بشىء من الفخر :

ـ ولكنكم لم تتوقعوا ظهور (أكرم صدقى) آخر لمعاونته .

هزَّ (أكرم) عالمهم كتفيه ، قائلاً بابتسامة خفيفة :

ـ ليس كما تتصور ... لقد تركنى أواجه طاقم الحراسة ، على شاطئ الجزيرة وحدى ، ولم يتعاون فى هذا الشأن .

أشار (أكرم) عالمنا بكفه ، وهو يقول بابتسامة مماثلة :

ـ أظننى أكثر من يتعلم أنك لم تكـن بحاجـة إلى المساعدة هناك .

ثم هزَّ كتفيه ، مضيفًا ، وابتسامته تتسع قليلاً :

ـ كانوا خمسة أو ستة رجال فحسب .

هزَّ (أكرم) عالمهم كتفيه ، على النحو نفسه ، وهو يغمغم :

ـ أنت على حق ... لم يكن الأمر يستحق

Looloo
www.dvd4arab.com

نقل (رياض) بصره بينهما مرة أخرى ، قبل أن يهتف فى لهفة :

ــ ولكننا أحضرنا قرينك من عالم موازٍ ؛ ليتصدى لك ، لا ليتعاون معك ... فكيف أقنعته بهذا ؟!...

مطَّ (أكرم) عالمهم شفتيه ، مجيبًا :

ــ إنه أنا يا رجل ... أكثر مَنْ يعرفنى ... فى الكون كله ... لست أنكر أننى قد ذهلت ، عندما رأيته أمامى ، ولكنه ، وفى كلمات موجزة سريعة ، أخبرنى بالأمر ، وذكر لى أمورًا ، يستحيل أن يعرفها سواى ، وقبل مضى دقيقة واحدة ، كنا نتصافح ، وكنت أشرح له اللعبة كلها .

هزَّ نائب مدير المخابرات رأسه ، وهو يغمغم :

ــ يدهشنى أن تمنحه ثقتك بهذه السرعة .

تبادل الأكرمان نظرة وابتسامة مرة أخرى ، ثم هزَّ (أكرم) عالمنا كتفيه ، قائلاً :

ــ إن لم تثق بنفسك ، فبمن يمكن أن تثق .

بهرت العبارة (رياض) ، الذى غمغم :

ــ ولكن ماذا عن كل الوثائق الرسمية التى أُتلفت ؟!

أجابه مدير المخابرات فى حزم :

ــ اطمئن أيها المفتش ... كلهـا تم نَسْخُها ، قبـل أن يتم إتلافها ... كل شىء فى أمان ، وسيعود كما كان .

غمغم (رياض) :

ــ والمقار التى تم نسفها .

أجابه نائب المدير هذه المرة :

ــ لا يمكنك أن تربح حربًا بلا خسائر يا رجل ... لقد أسقطنا أقوى شبكة إرهابية عالمية ، وظفرنا ، ولأول مرة بتلك الأفعى (صوفيا جريشام) ، ودونا (كاترينا) فى سبيلها للسقوط ... ألا ترى أن كل هذا الربح ، يساوى ما تكبدناه من خسائر ؟!

صمت (رياض) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ــ بالتأكيد .

رفع (أكرم) عالمنا سبابته ، وكأنه يهم بقول شىءٍ ما ، ثم امتقع وجهه فجأة ، وغمغم فى إعياءٍ واضح :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ رباه !

ثم سقط أرضًا ، فاندفع الكل نحوه ، فى حين أسرع (رياض) يضع منظـاره الخاص على عينيـه ، قبل أن يخفـق قلبه فى عنف ...

فوفقاً لما يراه ، كان (أكرم) عالمنا قد استنفد كل ما لديه ، للبقاء فى ذلك العالم الموازى ...

والآن هو يحتضر ، ويلفظ طاقته الأخيرة ...

وبسرعة .

* * *

الفصل الأخيـر

« تأخرنا كثيرًا أيها السادة » ...

قالها الدكتور (راضى) فى أسف ، انخلعت معه قلوب من يحيطون به ، فخيَّم عليهم وعلى المكان صمت رهيب ، وانعقدت الألسن فى حلوق الجميع ، على نحو يدعو إلى الرثاء ...

مدير المخابرات العمومية ...

ونائبه ...

والمفتش (رياض) ...

ورئيسه ...

و(أكرم صدقى) عالمهم ...

و ...

« كلا ... » ..

Looloo
www.dvd4arab.com

نطقها (أكرم) عالمهم بمنتهى الصرامة والحزم ، فالتفت إليه الجميع فى تساؤل ، جعله يكمل بنفس اللهجة والشعور :

ــ سنبدأ إجراءات إعادته على الفور ، مادام فى صدره نفس واحد يتردد .

غمغم الدكتور (راضى) فى توتر :

ــ ولكن جسده لن يحتمل الـــ ....

قاطعه (أكرم) عالمهم ، وهو يندفع نحو (أكرم) عالمنا الفاقد الوعى :

ــ أنا أدرى بجسدى ... لا تضيِّع ثانية واحدة يا هذا ، وابدأ إجراءات النقل على الفور .

بدا الدكتور (راضى) وكأنما تجمد فى موضعه ، فصرخ فيه (أكرم) عالمهم ، وهو يحمل جسد (أكرم) عالمنا :

ــ ابدأ فورًا .

انتزعت الصرخـــة الدكتور (راضى) مـــن جموده ، فاندفع نحو آلة النقل ، وخلع المفتش (رياض) سترته بدوره ، وهو يلحق به ، هاتفًا :

ــ لقد راقبت ما فعلته ، فى المرة السابقة .

وخلال ثانية واحـــدة ، كان كـــل الموجودين يتعاونون ، فى سرعة وحماس ، على نقـــل (أكرم) عالمنا ، إلى آلة الانتقال بين العوالم المتوازية ...

وعلى الرغم من سرعته ولهفته ، أرقد (أكرم) عالمهم قرينه ، داخل آلة النقل ، فى عناية ورفق ، وهو يصرخ مرة أخرى :

ــ هيا يا رجل ... هيا .

كان جسد (أكرم) عالمنا يتحول تدريجيًا ، إلى حالة نصف شفافة ، دلالة على تفكك خلاياه ، عندما هتف الدكتور (راضى) :

ــ لست مسئولاً عما يحدث .

Looloo
www.dvd4arab.com

صرخ فيه (أكرم) عالمهم فى لهجة أقرب إلى الشراسة :

ــ ابدأ يا رجل ... ابدأ ...

صاح فيه الدكتور (راضى) بدوره :

ــ أغلق الباب إذن .

اندفع المفتش (رياض) نحو الجهاز ، وهو يهتف :

ــ سيحتاج إلى من يرافقه إلى عالمه ، حتى يمكنه ...

التفت نحوه (أكرم) عالمهم فى شراسة واضحة ، صارخًا :

ــ قف مكانك يا هذا .

واتسعت عيون الجميع ، مع ما حدث بعدها بثانية واحدة ...

ومع الفرقعة المكتومة ، التى نشأت مع تشغيل جهاز النقل ، تراجع الكل فى حركة عصبية ، وران عليهم جميعًا صمت مهيب رهيب ، وهم يحدّقون فى الجهاز ، الذى بدا خاليًا تمامًا ، قبل أن يقطع نائب المدير ذلك الصمت ، مغمغمًا :

ــ ترى هل ....

ولم يكمل تساؤله ...

ولم يجبه أحدهم ...

على الإطلاق ...

* * *

كل شىء عبر رأسه فى لحظة واحدة ...

كل شىء ..

طفولته ...

تدريبات والده ...

صباه ...

أيام الحرب ..

هدير الطائرات ...

Looloo
www.dvd4arab.com

أزيز القنابل ...

صوت الرصاصات ...

دوى الانفجارات ...

أول يوم فى المخابرات ...

(صوفيا جريشام) ...

دونا (كاترينا) ..

مستر (زد) ...

ذلك العالم الآخر ..

ثم شعرت عيناه بذلك الضوء القوى ..

ضوء أبيض نقى ، يغمر وجهه ، ويخترق جفنيه ، و ...

« إنه يستعيد وعيه .... » ...

بلغ ذلك الصوت المألوف مسامعه ، فتحامل لحظة ، وتساءل فى أعمق أعماق عقله : كيف يمكن أن يسمع هذا الصوت ؟!

كيف ؟!...

إنه صوته هو ..

فتح عينيه فى بطء ، فبهره ذلك الضوء القوى ، على نحو جعله يرفع ذراعه ؛ ليحمى عينيه ، وهو يغمغم :

ــ أين أنا ؟!

أتاه صوته مرة أخرى ، يقول فى ارتياح :

ــ أنت فى وطنك .

ابتعد ذلك الضوء المبهر إثر العبارة ، فعاد يفتح عينيه ، ويحدّق لحظة فى ذلك الوجه الذى ينحنى نحوه ، والذى حمل كل ملامح الارتياح ، مما جعله يحاول أن يبتسم ، وهو يغمغم فى إعياء :

ــ تقصد وطننا .

اعتدل (أكرم) العالم الآخر ، وهو يقول فى ارتياح أكثر :

www.dvd4arab.com

ــ حمدًا لله على سلامتك يا ... يا أنا .

فتح (أكرم) عينيه أكثر ، واستعاد عقله فى سرعة شعوره بما حوله ...

كان يرقد فى حجرة صغيرة ، على فراش طبى ، وأمامه يقف قرينه من العالم الآخر ...

ومدير المخابرات العامة ...

ونائبه ..

و(حسام) رفيق عمره ..

و(مها) ...

توقف لحظات عند وجه (مها) ، زميلته ...

وحب حياته ...

وابتسم ...

ومع ابتسامته ، تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وغمغمت فى حب واضح :

ــ حمدًا لله على سلامتك .

ثم ألقت كل خجلها خلف ظهرها ، وهى تردف فى لهفة :

ــ فى المرة القادمة ، لا تثر رعبى إلى هذا الحد .

ابتسم مدير المخابرات بدوره ، وغمغم :

ــ أنا متشوق لقراءة تقريرك عن هذه المهمة يا (م ــ 1) ... وإن كنت أجهل كيف يمكننا تصنيفها !

ابتسم (أكرم) العالم الآخر بدوره ، وهو يغمغم :

ــ ستواجهنا المشكلة نفسها فى عالمى .

هزّ مدير المخابرات العامة رأسه ، وهو يقول :

ــ لن يمكنك أبدًا تخيل شعورى ، وأنا أقف إلى جوارك ، وأتطلع إليك فى فراش المرض ، فى الوقت ذاته .

Looloo
www.dvd4arab.com

اتسعت ابتسامة (أكرم) العالم الآخر ، مع قوله :

ـ حـاول إذن أن تتخيـل مـوقفى ، عنـدما فـوجئـت بنفسـى أقـف أمـامى ، وسـط تلـك المدينـة الجديـدة فى عالمى !!

أطلق (أكرم) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ـ أظننى الوحيد ، الذى يمكنه فهم شعورك هناك بدقة ..

ثم غمز بعينه ، مضيفًا :

ـ فدون أدنى شك ، أنا أكثر من يعرف ماهية مشاعرك .

ابتسم (أكرم) العالم الآخر ، وهو يقول :

ـ أظن مهمتى فى عالمك قد بلغت نهايتها يا أنا ... وعلى الآن أن أستعد للعودة إلى عالمى .

أجاب مدير المخابرات فى حزم :

ـ ليس بعد .

التفت إليه (أكرم) العالم الآخر فى دهشة متسائلة ، فأضاف بنفس الحزم :

ـ لديك الكثير من المعلومات عن خصوم وقعوا فى قبضتكم فى عالمك ، ولكنهم مازالوا يؤرقون عالمنا ، وأظن أن معرفة ما لديك ستفيدنا كثيرًا .

تردد (أكرم) العالم الآخر قليلاً ، ثم غمغم :

ـ ليس بالضرورة .

قال (حسام) فى حزم :

ـ ولماذا تفترض هذا ؟!

صمت لحظة مترددًا ، ثم أجاب فى حذر واضح :

ـ هناك شىء ما حدث حتمًا ، فى مرحلة قريبة ؛ لأن الأمور فى عالمكم ، لم تعد تسير على الوتيرة نفسها ، التى تسير بها فى عالمى .

تساءل مدير المخابرات :

ـ أتعنى بالنسبة لانتقال (م ـ 1) إلى عالمك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

تطلع (أكرم) العالم الآخر إلى (مها) ، لجزء من الثانية ، قبل أن يجيب :

ــ هناك ما هو أكثر من هذا .

لم تفت هذه اللمحة عن عينى (أكرم) ، الذى نقل بصره بين قرينه و(مها) ، ثم غمغم فى خفوت ، حاول ان يجعله هادئًا :

ــ أنت تعلم مثلى ، أن أية معلومة صغيرة ستكون مفيدة يا صديقى .

وقبل أن يعلق أحدهم على عبارته ، التفت إلى (مها) ، يسألها بابتسامة :

ــ هل حضر (قادر) معكم ؟!

أشارت (مها) بيدها ، مجيبة :

ــ بالطبع ... لقد كان أول الحاضرين ... ولقد كان مذعورًا من أجلك ، حتى أنه لم يتناول شيئًا ، وظل جالسًا إلى جوار فراشك طوال الوقت .

سألها بنفس الابتسامة :

ــ وهل ذهب يتناول شيئًا ؟!

أجابته مشفقة :

ــ بل غلبته مشاعره كالمعتاد ، عندما رآك تستعيد وعيك ، فغادر الحجرة مسرعًا ، حتى لا نرى دموعه .

أشار إليها بيده ، قائلاً :

ــ أحضريه بالله عليك ... إننى أشتاق لرؤيته .

أسرعت (مها) تلبى طلبه ، وما أن غادرت الحجرة ، حتى التفت إلى (أكرم) العالم الآخر ، يسأله :

ــ التغيير يتعلق بها ... أليس كذلك ؟!

شعر بتلك الدمعة ، التى تقاتل حتى لا تفارق عينى (أكرم) العالم الآخر ، وهو يغمغم :

ــ أنت محظوظ لأنها لاتزال إلى جوارك ... فى عالمى ، لم تعد إلى جوارى ... إلى الأبد .

إثر عبارته ، ساد المكان صمت مهيب ، استغرق لحظة واحدة ، عادت بعدها (مها) ، بصحبة (قادر) ، الذى جفف دموعه ، وهو يهتف فى سعادة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ حمدًا لله على سلامتك يا صديق العمر ...

ثم اندفع يعانق (أكرم) فى حرارة ، فابتسم (أكرم) ، وهو يسأل قرينه :

ــ إنه صديقكم فى عالمك ، أليس كذلك ؟!

أشار قرينه بيده ، وقال :

ــ أعظم صديق .

هتف (قادر) فى مرح :

ــ أرأيت ... صداقتى تمتد إلى عالم آخر أيضًا .

ضحك الجميع لعبارته ، ثم تقدم (أكرم) العالم الآخر من (أكرم) عالمنا ، وهو يقول فى حزم :

ــ أنت على حق ... سأخبرهم كل ما لدىَّ ، فمن يدرى ، ماذا يمكن أن يفيد .

ثم مد يده إلى (أكرم) عالمنا ، مضيفًا :

ــ كانت أعظم تجربة فى حياتى ، أن أعمل مع ... نفسى .

مد (أكرم) عالمنا يده إليه ، قائلاً :

ــ وأنا أيضًا يا ... نفسى .

وتصافح القرينان ...

وكانت أول مصافحة فى التاريخ بين قرينين ...

وعالَمين ...

وهدف واحد ...

(مصر) .

* * *

تمت بحمد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

29 / 12 / 013

فى هذا الكتاب

صفحة

- مصـــــر 5
- الستار الأسود 3 - (سلسلة داخل سلسلة)... 6
- قصة العدد :

(الهدف أنت) 97

الثمن فى مصر 700
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع